335

قماشة العليان

A.M.

مجموعة قصصية

الزوجة العذراء

الطبعة السابعة

http://www.maktbtna2211.com/

Wed.
20/2/2013

وبدا هو في حلة الزفاف كأقبح ما يكون.. ولكن شيئاً غريباً ظهر على وجهه في تلك الليلة فعيناه زائغتان.. وجسمه يهتز.. ويداه ترتجفان.. وكأنه خائف من شيء ما..

إنها لم تلاحظ عليه شيئاً من هذا رغم أن المدعوين من أفراد العائلتين قد لاحظوه .. كما لاحظوا ارتباكها هي أيضاً.. والعرق الغزير يتصبب من جبينها.. رغم أن مكيفات الهواء كانت تعمل آنذاك .. واصطحبها إلى بيت الزوجية.. وحالما أقفل عليهما باب الحجرة.. حتى قال لها:

- أريد أن أقول لك شيئاً هاماً في البداية..

صمتت وهي تنظر إلى وجهه، تابع وهو يحاول أن يبدو متماسكاً..

- إنني لا أدري ماذا أقول لك.. ولا كيف أبدأ.. ولكن أرجو منك أن تفهميني؟ ربما ستكون صدمة لك.. ولكن ما أرجوه أن تقدري موقفي.. هل تسمعينني..

وأجابته بإيماءة من رأسها دون أن تنطق.. ففاجأها بقوله:

نظرت إليه بسرعة وهي مشدوهة وغير مصدقة..

نظرت إليه وكأنها تنظر إلى كائن غريب من كوكب آخر..

وأخيراً وبعد أن زالت آثار الصدمة شهقت بفزع.. ثم شهقت وهي تبكي وتشرق بدموعها.. ولم تنبس ببنت شفة.. والغرفة صامتة.. غارقة في صمت لا يقطعه سوى بكائها ونحيبها ولم يتكلم هو.. انتظرها حتى تنتهي من البكاء..

ولكنها استمرت تنهنه بصوت خافت.. وأسندت رأسها على حافة السرير ونامت وسط دموعها.. ولم يقربها سعيد في تلك الليلة.. تركها وخرج..

ولم تدر أين نام هو .. ولا كيف !!؟..

S.R. 20
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
ريال

الزوجة العذراء

9786038000588

دار الكفاح للنشر و التوزيع
AL-KIFAH PUBLISHING HOUSE

الغرابُ الذكيّ

الزوجة العذراء

مجموعة قصصية

قماشة العليان

الطبعة السابعة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

إهـــداء

في خطواتي نحو عالم مجهول..
وسط الحيرة والضباب.. في غابة تمتلئ بالأشواك
الجارحة و بالورود اليانعة..
في عالم بشع مخيف..
وجدتك!!
بصيص من نور.. خيط نوراني شفاف إلى عوالم خفية..
باسمة.. إلى دنيا السعادة..
عندها فقط تحولت الأشواك إلى رياحين.. والورود إلى
ينابيع فياضة بالحب والعطاء..
ماذا أهديك.. وحياتي كلها بين يديك؟..
إليك يا من بددت ظلمات اليأس لتسطع أنوار الأمل
الباهرة لتضيء حياتي..
إليك أهدي كتابي الثاني «الزوجة العذراء».

قماشة

مقدمة الناشر

لا يسعنى إلا أن أقدم للقراء الأعزاء
والباحثين الأحبة .

هذه الأديبة العربية التي نسعى جاهدين
لإعادة نشر اعمالها لكم في هذا الزمن .

الناشر

الزوجة العذراء

وقفت أمام المرآة الكبيرة تمشط شعرها الأسود الكثيف .. إنها تستعد للذهاب .. لقد قررت أن تذهب وليحدث ما يحدث .. لن يحدث لها أكثر مما حدث .. تطلعت إلى المرآة بيأس وهمست بحنق :

- لماذا يارب خلقتني هكذا ؟ .. دميمة .. لماذا لم تهبني ولو مسحة من جمال ؟ .. لماذا أبدو إلى جانب أختي مريم كالقرد المشوه !!

لماذا هي جميلة .. وأنا لا ؟

وتحدرت الدموع على خديها لتغرق وجهها النحيل الأصفر .. ولكن لا .. قفزت بسرعة ومسحت دموعها بكفيها وهي تقول لنفسها بصوت خافت :

تنقصني الثقة بالنفس .. دائما أنا هكذا أستعد للذهاب ثم أبكي وأبكي حتى لا تستطيع قدماي أن تحملاني ثم أرفض الذهاب وكأنني أخشى المواجهة .. كلا .. اليوم فقط يجب أن تكون لدي الشجاعة لأذهب وأواجه الجميع بدمامتي ولا يهمني ما سيقولونه عني ..

في لحظات كانت قد استعدت وارتدت ثوبها الأسود .. ووقفت تنظر لنفسها في المرآة .. السواد .. دائما ترتدي السواد .. لماذا الأسود .. وهمت بأن تغيره عندما فتح الباب ودخلت عليها والدتها ، امرأة في العقد الخامس من عمرها .. جميلة جمالا مبهرا وإن كانت السنين قد أضفت على جمالها مسحة من وقار .. نظرت إليها بقسوة وقالت :

- سارة .. ألم تكملي بعد ارتداء ملابسك .. والدك ينتظرنا في السيارة .. هيا بسرعة .. وقبل أن تخرج التفتت إليها قائلة :

- مريم أختك انتهت منذ زمن طويل وأنت لاتزالين تنظرين لنفسك في المرآة .. يا سبحان الله ..

« دائما مريم .. كل شيء لمريم الجمال والثياب والحب والدلال .. وأنا لا شيء .. إنها أختي ولكنني أكرهها .. بل أمقتها .. غصبا عني» نظرت لوجهها في المرآة نظرة أخيرة .. عيناها الضيقتان وأنفها الكبير المحدب كأنف صقر .. وفمها

الواسع وشفتاها الغليظتان ووجهها الشاحب الهزيل .. وشعرها المجعد المنفوش .. لاشيء فيها جميل .

تنهدت بيأس .. وخرجت من الحجرة تقدم رجلاً وتؤخر الأخرى ولكنها مصممة على الذهاب .. مصممة أن تواجه الناس بوجهها القبيح .. إنهم لايرون فيها إلا هذا الوجه .. يالهم من ناس لاتهمهم إلا القشور .. اصطدمت عيناها وهي خارجة بجمال اختها الباهر .. إنها أخذت كل ملامح والدتها .. القامة الفارعة الهيفاء .. وشعرها الأسود الحريري . وعيناها السوداوتان الواسعتان .. وفمها الجميل .. وكادت تتراجع كالعادة ولكن لا .. إن عقلها الآن هو الذي يقودها .. كفاها جبناً وخضوعاً .. لا .. لن تتراجع بعد الآن .. نظرت إلى أختها مريم نظرات تقطر بالمرارة وهي تقول :

- هيا ..

قالتها بخمول وكأنها تقول لن أذهب .. وبادلتها اختها نظرة فاحصة وقالت هي الأخرى :

- هيا بنا ..

قالتها بنشاط وحيوية إبنة الثامنة عشرة ..

وفي السيارة كالعادة .. جلست سارة وأمها في المقعد الخلفي .. بينما مريم جالسة بثقة في المقعد الأمامي .. وذلك حتى يتباهى أبوها بجمالها أمام الناس .. هكذا يقول أبوها مراراً وتكراراً .. ألقت برأسها على المقعد وهي ساهمة .. سمعت صوت أبيها وهو يقول ممتدحاً إبنته الصغرى مريم :

- ما كل هذا الجمال .. إني أغار عليك من أن تكوني ابنتي .. وصفعت أذنها ضحكة أمها السعيدة وهي تقول :

- مريم ستحجب عنا الأنظار بجمالها .. لن يرانا أحد إلى جنبها شيئاً على الإطلاق ..

لمعت الدموع في عيني سارة ولكنها أخفتها بسرعة رهيبة خشية أن يلمحها أحد وهي تبكي ولماذا تبكي ؟

إن الله خلقها هكذا دميمة .. لاتستطيع أن تفعل بدمامتها شيئاً .. إنها تغار من أختها .. تغار إلى حد الكراهية ..

وعندما وصلوا إلى مكان الحفل .. لفتت مريم إليها الأنظار بجمالها الباهر ..

وثقتها بنفسها التي لا حدود لها .. وانزوت سارة في ركن مظلم تجتر أحزانها وتندب حظها العاثر .. ولكن حدثت مفاجأة في الحفل .. مفاجأة صاعقة .. لا أحد يتصورها ولايمكن أن يصدقها إنسان ..

لقد خُطبت سارة .. نعم سارة وليست مريم الحلوة .. الجميلة .. الرشيقة .. خُطبت سارة القبيحة المحرومة من الجمال .. خطبتها إحدى السيدات لابنها سعيد .. ابتسمت الأم وهي تجيب :

- تريدين خطبة مريم بالتأكيد ..

ولكن السيدة ردت عليها بحزم :

- كلا .. نريد سارة .. هكذا أوصاني ابني ..

ذهلت الأم فتبعثرت الكلمات داخل جوفها ولم تنطق .. وبعد فترة صمت طويلة أجابت الأم بفرحة ممزوجة بالدهشة :

- تقصدين سارة ابنتي الكبرى .. إنها تلك التي ترتدي الفستان الأسود ..

أجابت السيدة بإصرار :

- نعم إنها هي .. هي التي يريدها ابني ..

صمتت الأم وهي تفكر بسرعة .. كيف يكون هذا .. لقد انقلبت الموازين .. سارة الفتاة الدميمة تُخطب بينما الأخرى الجميلة لم يتقدم لها أحد حتى الآن .. ولكن هذا مستحيل .. أين رآها هذا الشاب وكيف عرفها حتى يقصدها بطلب الزواج .. أنه بالتأكيد مخطىء ..

أفاقت الأم على صوت أم سعيد وهي تقول لها :

- ماذا قلت يا أم صالح .. متى نأتي إلى بيتكم لنطلب يدها من والدها رسمياً ..

ترددت الأم قليلاً قبل أن تقول :

- أهلاً بكم في أي وقت .. ولكن .. لي شرط يا أم سعيد .. وهو أنه يجب أن يراها سعيد .. وسارة يجب أن تراه حتى نضمن لهما السعادة في المستقبل ..

وخرجن من الحفل والأم لا تصدق نفسها .. وسارة بادية الوجوم والارتباك وكأنها عرفت بما يدور حولها .. ومريم مرحة لاهية كعادتها دائماً .. لا تسأل عن شيء ..

وخلال أيام بدأ الاهتمام يحيط بسارة في البيت .. الكل يهتم بها .. الكل تناسى قبح وجهها .. أمها تدللها وأبوها يشفق عليها ويلبي كل طلباتها .. وأختها تبتسم

في وجهها بسعادة .. وأخوانها الأربعة يتطلعون إليها في دهشة ممزوجة بالسخرية ..

أما هي فكانت في غنى عن ذلك كله .. كانت لها أحلامها الخاصة .. كانت تغوص في بحار نقية من السعادة والدهشة .. وتتساءل بينها وبين نفسها .. معقول .. أنا القبيحة هناك من يرغب في أن يتزوجني .. ولماذا .. وماذا يريد منيْ ..

وتعود وتبحث في نفسها ..

« ربما أنا جميلة .. ولدى مواطن جمال خفية لا أعرفها .. ولكن لا .. عيناي الضيقتان وأنفي القبيح ووجهي .. لا .. لا لست جميلة .. ربما يريدني لشيء آخر غير الجمال .. ربما جذبه تعليمي نعم .. أنا متعلمة تعليماً متوسطاً وليس عالياً .. ولكن .. لا .. ربما جذبه نسبي .. أنني من عائلة محترمة ومرموقة .. إذن لماذا لا يخطب أختى فهي تملك المال .. والجمال .. والتعليم .. ولكن لا .. ربما هو لايريد هذا كله .. ربما يريدني أنا فقط دون شيء .. ربما أحبني » .. فكرت سارة كثيراً .. وتعبت من كثرة التفكير .. وأخيراً قررت أن تسلم أمرها لله .. وإن كانت لاتخفي فرحتها بهذا الأمر .

وفي خلال أسبوع .. تقدم سعيد ووالده لخطبة سارة .. ودخلت والدته وهي تحمل الهدايا لسارة وسط دهشة الجميع وفرحتهم في آن واحد ..

وفي نفس الليلة .. رآها سعيد .. بناء على طلب من العائلتين معاً ..

إنها تتذكر وقوفها الطويل أمام المرآة في ذلك النهار .. حاولت قدر الإمكان أن تبدو حسنة الشكل إنها لا تنسى معركتها مع شعرها المجعد .. وأخيراً روضته بصعوبة .. وأضفت الأحمرار الصناعي على خديها الشاحبين .. ولكن ماذا تفعل بعينيها وأنفها وشفتيها ..؟ لن تستطيع كل أدوات التجميل أن تغير كل هذا .. فهي قبيحة إذا تركت كل شيء على حاله .. ومهما حاولت استخدام كل وسائل التجميل في هذا العالم ..

إمتلأت عيناها بالدموع .. ولكنها غطّتهما بسرعة وكأنها ترفض الدموع .. وترفض التعاسة .. لا تعاسة بعد اليوم .. ارتدت ثوبها الأحمر الجديد الذي اشترته أمها خصيصاً لهذه المناسبة .. ثوب جميل يبرز نحافة خصرها .. وهذا ما أرادته أمها ..

« آه لا بأس أني أملك على الأقل خصراً جميلاً » .. قالت ذلك لنفسها بصوت خافت .. ومرّرت بالأحمر على شفتيها الضخمتين وخرجت من الحجرة .. وكادت أن تعود من حيث أتت بعد أن رأت جمال أختها وبالمقارنة لها .. ولكن لا .. لن تنهزم ..

هكذا قالت لنفسها وهي تحاول استعادة هدوئها .. وسارت ببطء نحو حجرة الضيوف وهي تفكر بصمت .. ووجهها جامد .. لا حياة فيه .. ستغامر بكل شيء .. هذه هي أنا .. وإلا فليذهب إلى الجحيم .. ولكن لا .. دوت صرخة في أعماقها .. إذا عدل عن رغبته في الزواج منها .. فسوف .. سوف تفقد الثقة بنفسها .. لا .. بل أكثر من ذلك أنها سوف تنتحر .. لن تحتمل الصدمة .. حاولت أن تطرد كل هذه الأفكار من رأسها وأمها تناولها أكواب العصير البارد لتقدمه للضيوف .. تقدمت بخطوات ثابتة .. ودخلت .. وهالها ما رأت !! .. يالها من مفاجأة مذهلة !!

لقد جمدتها المفاجأة ..

★ ★ ★

لماذا لم يقل لها أحد ؟.. لماذا لم يخبرها أهلها .. ووالدها .. لماذا سكت ؟ .. لماذا لم يقل لها بأن العريس أقبح منها .. بل أقبح رجل في العالم !!!

إنها لم تر رجلاً في حياتها بهذا القبح الشديد .. إنها بالمقارنة إليه ملكة جمال .. قصير القامة نحيل .. هزيل .. قميء .. وجهه يصد الناظرين إليه لدمامته .. عيناه كبيرتان غير مستقرتين .. حمراوتان .. وأنفه مفلطح كأنف زنجي .. وفمه واسع بدون شفتين .. بدون شفتين على الإطلاق ....

ورأسه الأصلع يبرق على ضوء النور الكهربائي الساطع ..

صدمة .. صدمة شديدة .. صدمة جعلتها تضحك بشدة على غير عادتها .. أول مرة في حياتها تضحك بهذه الطريقة .. وليس وحدها بل أمام ضيوف .. ومن ؟ ضيوف يخطبونها .. نهرها أخوها الأكبر وأخرجها أبوها بقوة من الحجرة ووجهه محمر من شدة الحرج .. وصفعتها أمها في المطبخ وهي تقول لها بقوة :

– من تظنين نفسك .. أنه الوحيد الذي يناسبك .. ولن تجدي غيره زوجاً ! ..

صدمتها هذه الكلمات أكثر من صدمتها بعريسها القبيح .. فتساقطت الدموع من عينيها بغزارة ولم تنم تلك الليلة .. وكيف تنام ؟ وصورة هذا الوجه المشوه يأتيها حتى في أحلامها .. هل حقاً كتب عليها أن تتزوجه .. تتزوجه هو ؟ نعم .. ومن هي حتى تشترط الزوج الوسيم .. ليست إلا فتاة شوهاء .. لايخطبها إلا أمثالها .. وبكت .. بكت بشدة وهي تعرف أنها لن ترفض هذا العريس ..

وكيف ترفضه ولم يتقدم لها أحد غيره حتى الآن ولن يتقدم .. أنها الآن في الرابعة والعشرين من عمرها ومن يدري إذا رفضت هذا فقد تبقى عانساً طول العمر .. وهي لا تريد أن تصبح عانساً .. تفضل الموت على ذلك ..

تريد أي شيء يعيد الثقة إلى نفسها .. ولن يعيد إليها هذه الثقة إلا إذا أصبحت زوجة ..

ليس مهماً زوجة من .. المهم أن تصبح زوجة ..

لتهرب من كلام الناس ..

ومن جمال أختها ..

ومن نفسها ..

وحالما أشرقت شمس اليوم التالي .. أسرعت راكضة إلى أمها ووجهها تبدو عليه أثار السهر والبكاء وقد ازداد قبحاً على قبح .. وأعلنت لها الموافقة .. فأبتسمت الأم بسعادة وهي تشعر وكأن هما ثقيلاً قد انزاح عن كاهلها .. وقالت لابنتها وكأنها تلومها :

- ولكنك أغضبتهم أمس ياسارة بضحكك المتواصل .. سأحاول أن اعتذر للأم في الهاتف .. وليتها تقبل اعتذاري ..

وفعلاً قبلت أم سعيد اعتذارها .. ولماذا لاتقبل .. أنه لاتوجد فتاة في الدنيا تقبل بابنها زوجاً ..

فعلاً حضر أهل سعيد في اليوم التالي ليتفقوا مع أهل سارة على موعد عقد القران .. وسارة تتأرجح مشاعرها بين الخوف والرجاء ..

أنها لا تعرف هذا «السعيد» .. لم تعرف عنه سوى وجهه واسمه .. ولكن ما يدريها .. ربما كان إنساناً بمعنى الكلمة .. ربما كان طيب القلب .. إن الشكل عادة لايدل على شيء .. فهي قبيحة ولكنها طيبة إلى أبعد الحدود ..

وأختها مريم فائقة الجمال ولكنها أنانية .. ومعقدة .. ومغرورة .. وأبوها .. أنها

تشبهه رغم أنه أجمل منها قليلاً .. أنه طيب القلب جداً.. ولكنها تشعر بأنه يكرهها .. ربما لأنها تشبهه .. وهذا ليس لها يد فيه .. أنه من سخرية القدر ..
وعقد قران سارة وسعيد دون حفل يذكر .. اقتصرت الدعوة على العائلتين فقط .. وقليل جداً من الأقارب .. وهي التي أصرت على ذلك .. سارة لاتريد حفلاً .. أي حفل .. لاتريد أن تكون مضحكة للناس .. لمن يعرفها ومن لايعرفها .. سيسخرون منها وسيضحكون على اختيارها لزوجها بالتأكيد .. وسيتندرون بشكلهما معاً وهما في ثياب الزفاف .. أنها تعرف كل ذلك .. بل وأكثر سيقارنون بين جمال أختها وقبحها .. وسيصبح زوجها لاشيء إلى جانب هيثم ابن عمها الذي عاشت عمرها كله وهي تحبه وتنتظره .. ولكنه لم يلتفت إليها .. ولدهشتها الشديدة لم يبهره حتى جمال أختها وتزوج فتاة أخرى من خارج العائلة .. ليست دميمة مثلها ولكنها أيضاً ليست جميلة في جمال أختها مريم .

اجتمعت بها أمها ذات صباح بعد عقد القران .. وأخبرتها بأن العريس متعجل ولا يريد التأجيل ويجب أن يحددا معاً موعداً للزفاف والذهاب إلى بيت زوجها .. أرهبتها الفكرة .. فلم تكن تنوي أن تصل معه إلى هذا .. أن يقفل عليهما باب واحد .. وأن تجمعهما غرفة واحدة .. بل وفراش واحد .. أنها ليست صغيرة على الزواج وتعرف هذا جيداً ..

ولكن كيف تتحمل أن تتطلع إلى وجهه دون خوف .. دون رهبة ..

أنها تعترف أنها دميمة ولكن ليس في ملامحها ذلك الشيء المنفر الذي تراه على وجهه .. نعم أن شكله مخيف .. أنها خائفة وحزينة .. أتصرخ في وجه أمها الآن وترفض الأمر برمته وترتاح .. ولكن لا إنها لن ترتاح .. لن ترتاح وهي تعرف جيداً أنها لن تتزوج بعد ذلك أبداً .. لن يتقدم لها أحد .. وإذا فرض وتقدم لها أحد فربما يكون أسوأ وأبشع من الأول .. لا .. أنها فرصتها في الحياة ولن ترفضها .. يكفيها أنها ستكون أجمل منه .. ولن تدعه ينسى هذا أبداً .. ولسوف ترتاح من جمال أختها ومعايرة أمها لها طوال الليل وطوال النهار بأنها قبيحة .. حتى أخوتها لم تسلم منهم .. يكفيها نظرات والدها لها وهو يمصمص شفتيه بألم وحسرة .. نظراته تعذبها .. تشعرها بأنها أقل من أختها بل وأقل من فتيات الدنيا بأسرها ..

أفاقت على صوت أمها وهي تسألها رأيها في الموضوع .. ابتسمت لأمها ابتسامة حزينة مثيرة للشفقة وقالت بصوت يائس :

- الرأي لك .. ولأبي ..

ضحكت أمها وهي تقول لها هامسة :

- لن أوصيك بزوجك يا ابنتي .. أنت تعرفين أكثر مني أنه ..

وصمتت .. وطال صمتها .. أحست سارة بأن أمها تريد أن تقول لها شيئاً ولا تدري ما هو ..

أخيراً نطقت الأم بعد تردد كبير ..

- أكرمي زوجك يا ابنتي .. لن يكون لك غيره .. لن تخرجي من بيته إلا إلى القبر ..

القبر .. أفزعتها الكلمة فلم تنظر إلى أمها .. وهمست لنفسها .. «وما يدريك يا أمي فربما هو القبر نفسه» ..

استغرق تجهيز سارة عدة أسابيع قبل أن تزف إلى زوجها .. تركت كل شيء لذوق أمها فهي تعرف ما يناسبها أكثر منها .. اختارت لها أمها مجموعة من الثياب الجميلة ومجموعة أخرى من قمصان النوم الفاخرة والملابس الداخلية .. كلها أشياء جميلة .. وكأنها تعوضها بها عن جمال ابنتها .. أيضاً دخلت إلى زوجها بدون ضجيج وبدون حفلات .. كانت رائعة في تلك الليلة رغم قبحها .. أن للعروس هيبة خاصة لايهم فيه جمال وجهها ..

وبدا هو في حلة الزفاف كأقبح ما يكون .. ولكن هناك شيئاً غريباً ظهر على وجهه في تلك الليلة عيناه زائغتان .. وجسمه يهتز .. ويداه ترتجفان .. وكأنه خائف من شيء ما ..

إنها لم تلاحظ عليه شيئاً من هذا رغم أن المدعوين من جميع العائلتين قد لاحظوه .. كما لاحظوا ارتباكها هي أيضاً والعرق الغزير الذي يتصبب من جبينها رغم أن مكيفات الهواء كانت تعمل آنذاك .. واصطحبها زوجها إلى بيت الزوجية .. وحالما أقفل عليهم باب الحجرة .. حتى قال لها :

- أريد أن أقول لك شيئاً هاماً في البداية ..

صمتت وهي لا تنظر إلى وجهه . تابع وهو يحاول أن يبدو متماسكاً ..

- انني لا أدري ماذا أقول لك .. ولا كيف أبدأ .. ولكن أرجو منك أن

تفهميني .. ربما ستكون صدمة لك ولكن كل ما أرجوه أن تقدري موقفي .. هل تسمعينني ..

وأجابته بإيماءة من رأسها دون أن تنطق .. ففاجأها بقوله :

- أتدرين أنني .. أقصد .. أعني .. أنا إنسان عاجز ..

نظرت إليه بسرعة وهي مشدوهة وغير مصدقة ..

نظرت إليه وكأنها تنظر إلى كائن غريب من كوكب آخر ..

★ ★ ★

وأخيراً وبعد أن زالت آثار الصدمة شهقت بفزع .. ثم شهقت وهي تبكي وتشرق بدمعها .. ولم تنبس ببنت شفة .. والغرفة صامتة .. غارقة في صمت لايقطعه سوى بكاؤها ونحيبها ولم يتكلم هو انتظرها حتى تنتهي من البكاء .. ولكنها استمرت تنهنه بصوت خافت .. وأسندت رأسها على حافة السرير ونامت وسط دموعها ..

ولم يقربها سعيد في تلك الليلة .. تركها وخرج .. ولم تدر أين نام هو .. ولا كيف ..

وعندما نهضت من فراشها في الصباح .. لم تذكر أين هي واستغرقت عدة دقائق وهي تتذكر ما حدث لها .. وأصيبت بغصة ألم في حلقها وهي ترى صورتها في المرآة .. أن عينيها متورمتان من كثرة البكاء .. أنها لم تبك أبدا بمثل هذه الصورة .. أنها لا تبكيه .. بل تبكي نفسها .. وتبكي حظها ..

أمعقول ما حدثها به البارحة ؟ أم أنه يهزل ؟ لاشك بأنه يهزل معها .. أنه أمر لايصدق .. ولايحدث إلا نادراً ، ولكنها قررت أن تسأله اليوم عما أخبرها به البارحة وتستحلفه بكل غال لديه بأن يقول لها الصدق .. ولكن لماذا يقول لها هذا ؟ وما غرضه من هذا ، وماذا يرمي إليه ؟ وإذا كان ماقاله صحيحا فلماذا قاله لها البارحة بالذات ؟ ليلة زفافهما .. هل يريد أن ينفرها منه .. ولكن لماذا ؟ لماذا ؟ أسئلة كثيرة تدور في مخيلتها دون جواب !!

قررت أن تواجهه وتسأله عن كل شيء ..

وخلعت سارة ثوب الزفاف الأبيض بسرعة ولبست ثوبا أحمر بسيطا .. أن اللون

الأحمر يضفي عليها جمالاً خاصاً ..
ولكن لماذا تريد أن تكون جميلة بنظره .. هزت كتفيها بيأس .. وترددت قبل أن تخرج من الحجرة .. كلما مدت يدها إلى مفتاح الباب تعود بسرعة إلى المرآة لتتأكد من شكلها .. وأخيراً عزمت على الخروج .. لم تجده في الصالة .. وسارت في أرجاء البيت تتفقده .. ولم تجد له أثراً .. صدمت !! .
.. عريس يخرج في صباح ليلة الزفاف ! .. بالتأكيد هو مجنون .. تناولت طعام إفطارها مما وجدته في الثلاجة .. وجلست بعد ذلك تنتظره على أريكة في الصالة ومضى بها الوقت وهي تزداد غيظاً .. ولا تدري ماذا تفعل إذا قدم أهلها ليطمئنوا عليها أو حضر أهل العريس .. هل تخبرهم بما حدث ؟ أم تقول لهم أن العريس جن .. أم ماذا تقول ؟
وفعلاً بعد فترة سمعت صوت الجرس .. إنه جرس الباب .. ووقفت حائرة في الصالة هل تفتح الباب أم لا تفتح .. ربما يكون هو .. سعيد .. ولكن مستحيل .. لأن معه مفتاح للباب .. ولو كان هو لفتح الباب ودخل دون داع لهذا الجرس .. ولكن ربما هو يداعبها .. لا .. لا .. ربما يكون أهلها قد أتوا .. لن تفتح .. كيف تواجههم بدون زوجها وماذا سيقولون عنها .. لا .. ولكن الساعة الآن ، لاتتجاوز الثامنة صباحاً ومن غير معقول أن يأتوا في هذه الساعة المبكرة .. إذن من يكون الطارق ؟
دقات الجرس تتوالى دون انقطاع ..
وأخيراً طرقات شديدة على الباب .. وهي حائرة تفكر هل تفتح أو لاتفتح ..
وأخيراً سمعت من ينادي باسمها من وراء الباب .. سارة .. افتحي ياسارة .. تنبهت وعرفت الصوت .. نعم إنها أم سعيد .. ركضت لتفتح الباب وهي تتساءل عن سر مجيئها في هذه الساعة المبكرة .. فتحت الباب ودخلت الأم .. وفي عينيها نظرة قلق ورهبة .. وواجهتها سارة بنظرات هادئة ثابتة رغم مايبدو عليها من قلق .. وسألت عن سعيد فأخبرتها سارة أنها لاتدري أين هو .. فطمأنتها أمه بأنه دائماً هكذا غريب الأطوار .. صمتت سارة وهي تجتر أحزانها .. وفهمت بعد ذلك أن الأم تحاول بشتى السبل أن تعرف ماذا دار بينها وبين إبنها البارحة .. ولكنها لم تعرف منها شيئاً ولم تستشف شيئاً من وراء صمتها .. فخرجت وهي تبتسم كعادتها ووعدتها بأن تزورها مع أخوات سعيد في وقت

لاحق .. وأغلقت سارة الباب وراءها وهي تتنهد بيأس ..
وفي الساعة الحادية عشر أحست بمفتاح يدور في الباب الخارجي فتظاهرت بالنوم .. ودخل عليها سعيد الحجرة .. ورغم تظاهرها بالنوم لم تستطع أن تكتم شهقة فزع وهي تراه يدخل في هيئة رثة وثيابه ممزقة ووجهه القبيح مليء بالخدوش والدماء .. وقبل أن تتحرك من فراشها قال لها :
- إبق في مكانك .. لاشيء ذا بال .. لقد تدخلت في معركة بسيطة مع قريب لي ..
ولكنها أحست بإحساس داخلي بأنه يكذب .. ولم تسأله أين نام البارحة .. بل لم تسأله عن أي شيء على الإطلاق ..
فضلت أن تسكت على مضض .. وما يهمها من أمره حتى ولو كان زوجها .. لقد تعودت طوال حياتها ألا تتدخل في شئون أحد ولا أحد يتدخل في شئونها .. لقد صبطت مرة أخاها وهو يعاكس الفتيات عبر الهاتف فلم تقل له شيئاً .. ولا كلمة واحدة .. ولم تخبر أحداً بذلك وكأن الأمر لايعنيها ..
ورأت أختها ذات يوم تحادث ابن الجيران في الشارع فسكتت ولم تقل شيئاً ولم تخبر أمها .. ولم تناقش أختها ..
إن الأمر لايعنيها في شيء .. ولايمسها لا من قريب ولا من بعيد .. هكذا هي لاتتدخل فيما لايعنيها ولكن هذا زوجها .. وأمره يعنيها بالتأكيد .. فهي شريكته في حياته .. ولكن لا .. فليذهب إلى الجحيم .. إنها تعودت على ألا تتدخل في شيء لايخصها .. وعاد سعيد إلى حجرة النوم بعد أن اغتسل في الحمام .. وما أن رأته حتى احمرت وجنتاها خجلاً واضطراباً ولكنه قال لها بصوت هاديء :
- سارة .. أرجوك أخرجي أريد أن أنام ..
صدمتها كلماته ولكن ليس أكثر من صدمتها بزوجها فخرجت بسرعة من الحجرة وكأنها تهرب من نار توشك أن تحرقها .. وجلست على أريكة في الصالة وهي تفكر في هذا الرجل الذي تزوجته .. إنه فعلاً غريب الأطوار كما أخبرتها أمه .. ترى أين نام ليلة البارحة .. ولماذا تأخر في العودة .. ولماذا يعود بهذا الشكل المزري .. ؟
لقد صدمت صدمة شديدة حطمت كيانها .. إنها أول صدمة في حياتها .. كانت تعتقد أن الزواج سوف ينقلها إلى عالم آخر .. عالم كالسحر .. كالخيال ..

مليء بالعطور والسعادة والحب .. ولكن الواقع شيء آخر .. ترى هل كل عروس تمضي يومها باليأس والحيرة ..

وفي غمرة إحساسها باليأس سمعت رنين الجرس .. بالتأكيد هم زوار جاءوا ليباركوا لهم .. وأسرعت تفتح الباب .. لقد كانوا أهلها .. وفرحت بهم فرحة شديدة أنستها ماكانت تعانيه منذ لحظات .. راعها جمال أختها فتذكرت قبحها وإن كانت قد نسيته لفترة .. وأحست بكل عقدها ونقائصها تعود قوية كما كانت ولكنها حاولت أن تنسى ..

جاهدت كثيراً لتبدو أمامهم عروساً سعيدة ..

نظرت إليها أمها نظرة ذات مغزى وقالت:

- سارة أريدك قليلاً ..

أخذت أمها إلى حجرة جانبية وهي تعلم مقدماً ماذا ستقول لها أمها .. وفعلاً سألتها نفس السؤال .... وتاهت أفكارها وهي تجيب أمها إجابة مطمئنة .. أجابتها بذلك لتريحها وتريح نفسها ..

وفعلاً رأت علامات الارتياح تعلو وجه أمها ..

سألها أبوها عن زوجها فأخبرته بأنه نائم .. ابتسم أبوها ونظر إليها بخبث .. فاحمرت وجنتاها من الخجل رغم أنها تدرك تمام الادراك بأنه لم يحدث شيء .. ولكنها أحست بما يدور في خلد أبيها .. إنه لايعلم شيئاً .. كلهم لايعلمون .. أتخبر أمها بهذه المأساة المفجعة .. وماذا سيكون رأي أمها..

وماذا ستقول لها .. لا .. لن تخبرها .. لتحمل مأساتها وحدها .. وليكن مايكون .. إنها مستعدة لكل شيء ..

وبعد فترة قصيرة ودعها أهلها وخرجوا .. وعاد اليأس يلفها من جديد ..

عند الغروب استيقظ سعيد من نومه فاستقبلته فرحة باستيقاظه ولكنه لم يكن فرحاً على الاطلاق .. سألها إذا كانت تريد أن تتعشى بالبيت أم خارجه .. سألها هذا السؤال بروتينية مملة وكأنه لايريد أن يتكلم وقالت له بصوت خافت .. أريد ما تريده أنت .. فنظر إليها طويلاً قبل أن يقول :

- هيا البسي ثيابك لنخرج بعد قليل ..

كان الوقت الذي قضته معه للعشاء من أسوأ أوقاتها على الإطلاق .. كان العشاء سخيفاً ...

وكان هو أسخف .. ومضى الوقت مملاً بطيئاً وهما لايجدان ما يتحدثان عنه .. وعادا إلى البيت والبرود لايزال يلفهما وما أن ضمتهما حجرة النوم .. حتى قال لها بصوت مرتجف ..

- أعلم أن أهلك قد حضروا اليوم لزيارتك وأعلم أنك لم تخبري أحداً بشيء .. وأرجو أن تكوني عند حسن ظني .. فلا أريد لأي مخلوق أن يعلم بما بيننا ..

وتشجعت قبل أن تقول :

- وما هو الذي بيننا ..

وأحست براحة كبيرة وهي تنطق هذه الكلمة لما رأت على وجهه من علامات الدهشة والتعجب .. أحست أنه يعاني بصعوبة ليبحث عن إجابة لسؤالها غير المتوقع ثم أجابها بحدة :

- أنت تعرفين جيداً ما هو الذي بيننا ولا حاجة لإعادة الكلام ..

ولكنها ردت بسرعة .. «ولكني حقاً لا أعرف .. أنت لم تخبرني بأي شيء على الإطلاق ..

صمت طويلاً وكأنه يفكر قبل أن يجيب :

- أنا وحيد أمي بين خمسة أخوات بنات كما تعلمين .. ومرضت مرضاً طويلاً .. أصبحت بعده فاقد القدرة على القيام بالواجبات الزوجية .. أنا لا أطلب منك المستحيل ولكن أرجو أن تصبري فترة من الزمن .. ربما عدة شهور أو أكثر ..

- أطرقت سارة برأسها حتى لايرى الدموع التي أمتلأت بها عيناها .. وبعد أن خرج من الحجرة أحست بالحزن .. بالحزن الشديد .. فأجهشت بالبكاء بكل كيانها .. وهي على يقين من أن من يولد بائساً شقياً يعيش طوال حياته في بؤس وشقاء ..

إنها لم تذق للسعادة طعماً في حياتها ولن تذوق ..

«لماذا ياربي .. خلقتني دميمة قبيحة شوهاء .. لايحبني أحد حتى أمي .. كل البشر يعايرونني بوجهي ويطرون جمال أختي وحسنها .. حتى كرهت الدنيا بأسرها .. حتى زوجي من توقعت على مقدمه كل الخير والبشر أصبح هو الآخر لا يريدني .. رغم أنه يماثلني قبحاً .. إن لم يكن أكثر» ..

ومضت تجتر آلامها ..

وفي غمرة إحساسها باليأس والحزن تذكرت فجأة أنه خرج .. إلى أين ذهب في مثل هذه الساعة ؟

لقد سمعت بنفسها الباب الخارجي وهو يغلق .. ولكنها خرجت لتتأكد .. بحثت عنه في الصالة وفي المطبخ وفي الحمام وفي كل غرف البيت ولم تجد له أثراً .. ماذا يقصد من هذا كله .. ولماذا يخرج كل ليلة على هذه الصورة .. ترى لماذا تزوجها ؟ وماذا يريد منها بالضبط ؟ وماهي الحكاية ؟ لابد أن في الأمر سراً .. ولم تفكر كثيراً .. لقد تعبت من كثرة التفكير .. فنامت بهدوء لا على السرير .. بل على فراش قديم وجدته في إحدى غرف المنزل وضعته بجانب السرير ونامت .. صممت على ألا تقرب السرير فليس من حقها أن تنام عليه .. بل أنها تكرهه .. تكره السرير وتكره صاحب البيت وتكره أمها وأباها وكل شيء ونهضت في الحادية عشرة على يد تهزها .. فتحت عيناها لترى الساعة فدهشت لنومها كل هذه المدة ..

التفتت لترى وجهه القبيح وقد امتلأ بالدماء والخدوش وثيابه ممزقة .. شهقت بفزع أكبر مما كان في المرة الأولى .. لم يفزعها رؤيته بهذه الحالة فقد رأته هكذا من قبل .. أفزعها أن يتكرر ذلك للمرة الثانية .. وعلى يومين وفي نفس الوقت .

★ ★ ★

وأفاقت من دهشتها على صوته وهو يسألها برقة :

- لماذا لم تنامي على السرير البارحة ؟

- ولماذا أنام عليه ..

- لأنه سريرك ويجب أن تنامي عليه ..

صمتت وهي تستجمع قواها لتسأله السؤال الذي كان يدور في رأسها في تلك اللحظة ..

- سعيد .. أين كنت البارحة .. ولماذا لاتنام هنا ؟ ولماذا يبدو شكلك هكذا .. ما الأمر ؟

همس بصوت خافت ..

- لا شيء ..

وأدار لها ظهره وخرج من الغرفة .. أحست بحنق شديد والغضب يتصاعد داخل نفسها ..
ماهذا الذي يحدث ؟ هل هي عروس سعيدة .. أم ضابط شرطة لتحل كل هذه الألغاز التي تتوالى عليها منذ أن تزوجته .. لا .. لن تتركه هكذا ..
إن في حياته لغزاً يجب أن تعرفه .. وبعد ذلك تقرر إذا كانت تستطيع أن تعيش معه أم لا ..
نهضت بسرعة من فراشها وطوته سريعاً واحتارت أين تضعه .. هل تعيده إلى مكانه .. ولكن لا ...
أدخلته بسهولة تحت السرير الكبير وأسرعت الخطى تبحث عن زوجها قبل أن يخرج .. رأته وهو يغتسل في الحمام، وخرج دون أن ينظر إليها ودخل حجرة النوم .. ولكن لا .. لن تدعه يجب أن تواجهه بكل شيء .. ليضع النقاط فوق الحروف .. لحقت به إلى الحجرة ..
نظر إليها بدهشة وقال :
– سارة أرجوك أريد أن أنام .. أتركيني من فضلك ..
تعثرت الكلمات داخل جوفها ولم تدر ماذا تقول .. وخرجت تجر أذيال الخيبة .. ولكن لا ..
ستنتظره .. ستنتظره حتى يستيقظ وتسأله عن كل شيء .. ولن تخاف ..
وجلست تحضر الكلمات التي سوف تقولها له .. وتنتظره على أحر من الجمر .. فأحسست بالهدوء يلفها ..
لاصوت ولا ضجيج .. وحنّت إلى بيت أهلها .. إلى كل شيء حتى المشاكل .. إلى مرآتها الكبيرة .:
وإلى سريرها وإلى مخدتها الصغيرة المبتلة دائماً بالدموع .. وإلى أختها ومشاكلها معها .. وإلى أدق أدق الأشياء في بيت والدها .. لقد كانت سعيدة هناك .. ربما لم تكن سعيدة ولكنها كانت أحسن حالاً مما هي عليه الآن .. ليست زوجة وليست عازبة ..
ولكن لا .. الموقف يجب أن ينتهي اليوم .. بل الليلة بالذات .. وفي السادسة تماماً .. خرج سعيد من الغرفة .. وقفت سارة مرتبكة تصف الكلمات التي ستقولها .. ولكن هربت منها الكلمات .. سألها بصوت هاديء :

- هل تريدين الخروج معي .. ؟

صمتت وهي تفكر بسرعة .. وعقلها يلف مليون لفة في الثانية الواحدة .. فسألها مرة أخرى :

- لماذا لا تردين .. هل تريدين الخروج معي أم لا ..؟

خرج صوتها مرتعشاً خائفاً رغم أنها حاولت جاهدة ألا يبدو كذلك ..

- أريد أولاً أن أناقشك في أمر هام ..

رد باستهزاء وسخرية :

- وما هو هذا الأمر الهام ..

تجاهلت سخريته وابتلعت ريقها قبل أن تقول :

- هناك أشياء كثيرة في حياتك لا أفهمها .. إني منذ تزوجتك وأنا أشعر إنني أمثل فيلماً خيالياً أو أعيش كابوساً رهيباً .. أريد أن أفيق منه .. ولا أستطيع .. إنني أعيش أيامي في خوف ورعب لا أدري متى تأتي ولا متى تخرج ولا أين تنام .. ولا ..

قاطعها بصوت حاف :

- قلت لك لا تسأليني الآن عن شيء وستعرفين كل شيء لاحقاً ..

قالت بصوت مخنوق وكأنها لم تسمعه :

- قل لي بصراحة .. لماذا تزوجتني ..؟

صمت طويلاً قبل أن يقول :

- نخرج الآن أم أخرج أنا وحدي ..

ولم تحتمل كل هذا التجاهل .. فانهارت في بكاء مرير وقالت له بصوت تقطعه الشهقات :

- أخرج لوحدك ..

ولم يشفق عليها .. وتجاهل دموعها .. وخرج .. وبعد فترة .. نهضت وغسلت وجهها جيداً وخطرت لها فكرة .. لماذا لا تبحث في مكتبته وتفتش أوراقه .. ربما وجدت شيئاً يدلها على هذه الحالة .. ربما وجدت بصيصاً من نور ..

وذهبت مسرعة إلى حجرة المكتبة وفتحت الباب .. إن في الحجرة أوراقاً كثيرة مكدسة في كل مكان على المكتب وعلى الكراسي .. وعلى الأرض .. جلست بهدوء على الكرسي وراء المكتب ومضت تقرأ الأوراق الكثيرة المتناثرة في كل

مكان .. بعضها أوراق امتحانات وبعضها أوراق مكتبية خاصة بعمل زوجها في التدريس .. وأسماء طلاب .. وكتب الثانوية العامة لزوجها .. لا ليست لزوجها .. إنها لطالبة إسمها فوزية .. إنها أخته .. إسمها الثاني كإسم عائلته .. ولكن .. ليست له أي أخت إسمها فوزية .. إخواته خمس : خديجة، سامية ، إيمان ، أمل ، نورة .. ليس بين أخواته من إسمها فوزية .. ربما هي إحدى بنات عمه وهي لا تعرفهم أبداً ولم يحضروا زواجها .. أو ربما حضروا وهي لا تدري .. إنها لم تسمع بهم إطلاقاً .. ولكن من أحضر كتب هذه الفتاة إلى هنا ..؟

ترى هل كانت حبيبته أما ماذا .. ربما كان يدرسها هنا في هذا المكتب .. ربما هي جميلة جداً ..

هزت رأسها جيداً لتطرد هذه الأفكار .. وأخذت تبحث بهدوء وروية ..

فتحت أدراج المكتب كلها .. ولم تجد شيئاً .. ولكن هناك درجاً واحداً مقفلاً بمفتاح ولم تستطع فتحه ، أخذت تبحث عن مفتاح هذا الدرج في كل مكان .. واستهوتها هذه الفكرة ونسيت معها كل آلامها وأحزانها .. وأسرعت ركضاً إلى حجرة نومها تبحث هناك عن هذا المفتاح .. بحثت في كل ثيابه .. ولكن أسفل الدولاب وجدت شيئاً .. ثوباً قديماً ممزقاً وعليه بقع من الدم .. ربما هو ثوبه أمس عندما عاد في الصباح .. ولكن كلا .. لقد تخلصت منه هي بنفسها ، وألقته في سلة النفايات .. وكذلك ثوب أول أمس .. لقد تخلصت منه بنفس الطريقة .. إذن ما قصة هذا الثوب ؟

وحالما أخرجت هذا الثوب حتى سقطت منه عدة مفاتيح متعددة الأشكال والأحجام .. ازدادت دهشتها ولم تدر ماذا يصنع بكل هذه المفاتيح ..

أخذتها كلها إلى حجرة المكتبة .. وأخذت تجربها كلها في الدرج المغلق واحداً تلو الآخر .. ولم يفتح الدرج .. فكرت بسرعة وقد سيطرت عليها الفكرة لماذا لا تكسره .. ولكنها خائفة .. هزتها هذه الكلمة خائفة .. خائفة من ماذا .. منه هو ؟ بالقطع لا .. إنه لايكاد يعرف شيئاً عن بيته .. وغرفة المكتبة هذه لم يدخلها منذ أن تزوجها وبالتأكيد لن يهمه أن تكسر هذا الدرج أو لا تكسره .. ولكن ربما في هذا الدرج أشياء تهمه .. وقد يغضب عندما يكشف أنها اطلعت عليها .. ولكن لا .. ستكسر الدرج وليحدث ما يحدث .. إنه لم يراع مشاعرها

يوماً واحداً .. فكيف تراعي مشاعره ..
وأسرعت إلى المطبخ وتناولت أكبر سكين فيه وذهبت إلى حجرة المكتبة ، وأخذت تحاول فتح الدرج وفجأة قرع جرس الباب .. ولكن لا .. إن معه مفتاحاً .. من يكون يا ترى .. إن الساعة الآن الثامنة مساء .. ربما هم أهلها .. وأفرحها هذا الخاطر .. وأسرعت تفتح الباب بعد أن تأكدت من إغلاق حجرة المكتبة .

★ ★ ★

فوجئت بوالدته وأخواته كلهن وقد حملن في أيديهن بضعة أكياس خمنت بأنها هدايا الزواج .. بادرتها الأم قائلة :
- أين سعيد يا سارة إنني لا أراه ..
همست بدون شعور ..
- وأنا أيضاً لا أراه ..
علا صوت الأم وهي تقول :
- أنت لا ترينه .. ماذا تقولين يا سارة ..
- كلا يا خالتي .. أقصد أنه كثير الخروج لدرجة أنني أصبحت معها لا أراه دائماً ..
ضحكت أخته الصغرى وهي تقول :
- يخرج وأنتما لاتزالان في شهر العسل .. هو مجنون بالتأكيد ..
رنت كلمة أخته في عقلها بشدة .. مجنون .. نعم لابد أنه مجنون .. كل تصرفاته تدل على ذلك ..
لم يقربها أبداً منذ زواجهما .. وخروجه كل ليلة ومبيته في الخارج .. وعودته كل يوم في صورة منفرة بالتأكيد هو مجنون .. رغم أنه لايبدو عليه ذلك ..
فكرت سارة في أن تسأل أمه عن أحواله .. ولكنها عدلت في اللحظة الأخيرة .. فهي أمه مهما يكن ولن تخبرها بشيء .. ألم تقل لها مرة بأنه غريب الأطوار ..
حاولت سارة أن تبتسم طوال الوقت وأن تبدو سعيدة رغم ما تشعر به من جزن يفري كبدها حتى سألتها الأم :
- أخبريني يا ابنتي بصراحة .. هل أنت سعيدة مع ابني .. وأردفت بسرعة ..

إنه إنسان طيب القلب رغم ما يبدو عليه .. بالصبر والتفاهم تصلان إلى كل شيء بإذن الله ..
لا تنسي أنكما لازلتما في بداية الزواج ..
صمتت سارة لأنها شعرت شعوراً خفياً بأن أمه لا تريد رداً على سؤالها .. فقط تريد أن تطمئنها، لتعيش معه بهدوء بانتظار الأمل الذي قد لايأتي ..
وبعد نصف ساعة من حضور أهل سعيد .. دخل هو ورحب بأمه وأخواته .. واقترح عليهم أن يذهبوا جميعاً إلى أهل سارة .. ولكن الأم اعتذرت وطلبت منه أن يوصلهم إلى البيت .. وذهبت معهم سارة ليوصلها في طريقه إلى بيت أهلها ..
وحالما دخلت بيتهم .. امتلأت عيناها بالدموع وتذكرت كل شبر فيه .. أحست أن علاقتها قوية جداً بهذا البيت وأنها لاتستطيع أن تفارقه أبداً ..
قبلت أمها وأخوانها وأختها مريم وكذلك قبّلت سريرها ومخدتها الصغيرة .. وياللعجب في هذه المرة لم يبهرها جمال أختها ولم تعد تشعر بأي غيرة .. ونسيت قبحها ولم تعد تذكره بتاتاً ..
أصبحت تشعر في قرارة نفسها بأن هذه أشياء تافهة لا تستحق التفكير وأن هي أشياء أكثر أهمية لا علاقة لها بالقبح والجمال .. ولا بالطول ولا بالقصر .. هناك السعادة .. ويمكن أن يحصل عليها من لايمت للجمال بصلة .. وممكن أن يحصل عليها جميل أيضاً .. تساوى الجمال والقبح في نظرها ..
استقبلها أبوها بحب .. أول مرة ترى نظرات الحب في عينيه .. ربما ليست نظرات حب .. ربما هي نظرات شفقة .. ولكن لايهم .. المهم أنه أحس بها أخيراً .. وسألها بهدوء :
– هل أنت سعيدة يا حبيبتي .. أن زوجك إنسان بمعنى الكلمة ..
أومأت برأسها علامة الإيجاب وهي تفكر .. حتى أبوها يريد أن يطمئنها، ويسكن قلبها .. كلهم يريدون منها أن تعيش معه في سلام .. حتى أمها وقفت معهم ضدها .. لكنها تريد أن تبوح لأحد أن تخبر أي إنسان عما يحدث لها .. إنها لاتستطيع أن تكتم هذا الشيء طويلاً وهو يتطور إلى ما هو أسوأ .
جلست سارة مع أمها على انفراد .. تكلمت سارة ..
– أمي .. إنني خائفة .. بل أنني قلقة .. إنني لا أفهم شيئاً ممّا يدور حولي ..

ردت عليها أمها قائلة :
- أنا كنت مثلك في بداية زواجي .. كل البنات هكذا .. يخفن في البداية ..
- أمي إني لا أقصد هذا أبداً .. أنني ..
- أنا لم أحب أباك أبداً في البداية .. وبعد ذلك بدأ الحب بالتدريج والآن لا أستطيع فراقه ..
- لا .. ليس هذا .. إنك لاتفهميني .. أقصد أنه ..
- إن زوجك يا ابنتي رجل طيب .. ليس مهماً شكله .. المهم أخلاقه ..
وسكتت سارة .. أحست بأن الكلام لا يجدي ولن يجدي .. لن تفهم أمها لأنها لا تريد أن تفهم
لا تريد أن تعرف .. لا تريد أن تتحمل المسئولية .. أنها مثلهم .. مثل الجميع .. تريدها أن تعيش بهدوء مع زوجها رغم كل شيء ..
ذهبت سارة مع زوجها وهي تحس بغربة شديدة .. غريبة في وسط أهلها .. غريبة مع أمها .. غريبة حتى مع زوجها .. ألقت إليه نظرة جانبية وهما في السيارة متوقفين عند إشارة المرور .. وصدمت للتعابير التي رأتها مرتسمة على وجهه القبيح .. كان يبدو خائفاً مرتعباً شاحب الوجه .. العرق الغزير يتساقط على وجهه بغزارة .. تابعت نظراته فوجدتها متجهة إلى مستشفى كبير في الجهة الأخرى من الطريق ...
زادت دهشتها وزاد استغرابها .. وحالما تابعا السير استجمعت قواها لتسأله :
- سعيد .. مابك ..
- أنا .. لا .. لاشيء ..
- كنت أتوقع شيئاً من هذا القبيل ..
- ماذا .. ماذا .. هل تتوقعين شيئاً .. مثل ماذا ؟
- أقصد كنت أتوقع إجابتك هذه هي دائماً .. لاشيء .. لاشيء ..
- إصمتي أرجوك ..
وصمتت .. نعم صمتت .. وماذا كانت تستطيع أن تفعل وهو يأمرها بالصمت دائماً .. يريدها دائماً صامتة ترى وتسمع وهي صامتة .. وأخذت تفكر بصمت حتى عندما دخلت بيتها الحزين كانت تفكر .. أن أطواره غريبة .. وتصرفاته أغرب وأغرب .. لماذا كان خائفاً .. وهو ينظر إلى المستشفى .. ربما لم يكن

خائفاً من المستشفى .. ربما كان هناك شخص يخيفه .. ولكنها لم تر أي شخص .. فقط رأت المستشفى الكبير كما رآه هو .. ترى أي مستشفى كان .. أنها لاتتذكر بالضبط .. لقد أنستها دهشتها قراءة إسم المستشفى .. إن في المدينة التي تسكنها عدة مستشفيات وليس واحداً ..

أفاقت من تفكيرها على صوت الباب الخارجي وهو يغلق ..

قامت مسرعة تحاول اللحاق به ولكنه كان قد ابتعد ..

هذه المرة شعرت بالخوف .. بالخوف الشديد يغمر كيانها .. إنها تخاف أن تنام بمفردها .. في المرات السابقة كانت متأكدة أنه سيعود ولكن هذه المرة متأكدة تماماً بأنه لن يعود .. لن يعود قبل الحادية عشر من صباح اليوم التالي .. كيف تنام وحيدة في بيت كبير كهذا .. لا .. لاتستطيع .. هل تهاتف أمها الآن وتطلب منها أن تأتي لتنام معها .. أو تهاتف أمه هو لتطلب إليها أن تأتي .. لم يعد هناك أي حل .. في كلتا الحالتين سوف تفضح نفسها وسيعرف الجميع أنها ليست زوجة سعيدة .. ولكن ماذا يهمها من الجميع .. فليذهبوا إلى الجحيم .. المهم أنها لاتستطيع أن تنام وحيدة .. وأم زوجها أفضل من أمها .. على الأقل أنها لاتشعرها بأنها عبء عليها .. وعزمت على هذا الأمر ..

أدارت قرص الهاتف بيد مرتجفة .. ولكن لا مجيب .. أدارت الأرقام للمرة الثانية .. لا مجيب

حاولت للمرة الثالثة والأخيرة ودقات قلبها تتسارع من شدة الخوف .. وأخيراً رد عليها صوت يغالب النوم .. ألو ..

وسقطت السماعة من يدها من شدة الفزع .. يا إلهي إنه زوجها .

★ ★ ★

إنه يترك بيته وزوجته ويذهب لينام عند أمه .. هل هذا معقول .. ولماذا ؟ وماذا يريد إذن منها حتى يتزوجها ؟ لماذا لم يتركها في بيت أهلها ؟ لماذا لم يتركها لسريرها ومخدتها ودموعها ؟ ماذا يريد هذا الرجل ؟ وماذا يريد أهله ؟ وماذا يريد هو منها ؟ أغلقت سماعة الهاتف بهدوء .. وفي صدرها بركان يغلي ويوشك أن ينفجر في أية لحظة .. أسئلة كثيرة تطرق رأسها بلا جواب .. هل تستمر معه هكذا .. متزوجة وليست متزوجة

فقط ازداد في حياتها العذاب .. وتضمخت دنياها بالحيرة ..
إنها بحاجة لإنسان تحكي له وتشكي .. ويشاركها شعورها وإحساسها .. هل تخبر أمها الآن بكل شيء وبالتفصيل .. ولكن أمها لا تريد أن تسمع منها شيئاً .. أي شيء .. أمها تريد منها كما يريد الجميع أن تعيش معه تحت أي ظروف ! .. وعلى أي أرض ! ، وفي ظل أي سماء ! .. حتى لو كانت تتعذب فهذا غير مهم .. المهم أن من حولها يبقون راضين وسعداء ..
ذهبت إلى حجرتها تجر قدميها جراً .. وسقطت على السرير .. على السرير هذه المرة .. إنه لن يأتي ولن يعرف هل نامت على السرير أم لم تنم .. ولا يهمه حتى لو نامت في المطبخ ..
إنها ليست كأي عروس سعيدة تنحصر مشكلتها في معرفة هل يحبها زوجها أم لا .. إن تساؤلاتها أكبر وأهم من هذا .. إن تساؤلاتها مصيرية ومحتومة يجب الرد عليها .. يجب .. لقد أهملت حتى نفسها وازداد وجهها بشاعة .. حتى ملابسها تلبسها قبل أن تنظر إليها .. أصبح لايهمها الشكل ولا اللون إن لديها شيئاً أهم ..
حتى وجهها لم تعد تعيره انتباهاً .. في الماضي كانت تجلس طويلاً أمام المرآة تتأمل عينيها الضيقتين وأنفها المحدب وشفتيها الضخمتين ..
والآن لا ترى حتى شكل فستانها حينما تلبسه .. لقد ضاقت بكل شيء ..
نامت وسط دموعها كما نامت أول ليلة أتت إلى هنا .. نامت بعد أرق طويل وتفكير أنهك كل قواها ..
نامت نوماً متقطعاً .. تخللته أحلام وكوابيس كثيرة .. وفي السابعة صباحاً نهضت وكأنها ملّت النوم
نهضت فرحة بنور الصباح .. الآن تلاشى خوفها وقلقها اللذان أخذا منها كل مأخذ ..
تناولت إفطارها وهي تفكر بهدوء .. يجب أن تجد حلاً لكل هذا .. هنا تذكرت أمر الدرج الذي أرادت أن تكسره .. الآن .. يجب أن تكسره ..
أسرعت قبل أن تنتهي من إفطارها إلى حجرة المكتبة .. وجدت كل شيء في مكانه .. كما تركته أول مرة حتى السكين وجدتها في مكانها .. لم يدخل هنا أحد بعدها .. وأخذت تعالج الدرج بكل ما أوتيت من قوة .. يجب أن يفتح وبأي

طريقة .. ولكن باءت كل محاولاتها بالفشل ..
لم يفتح الدرج وإنما تحطمت أجزاء من جوانبه .. لم تر منها محتواه .. وأخذ اليأس منها كل مأخذ فشدت شعرها بغيظ وألقت بنفسها على أرض الحجرة وهي تبكي بشدة .. وتجذب حواف السجادة بغضب .. وفي غمرة يأسها جاءها الفرج فجأة فقد انحسر جانب من السجادة ورأت تحتها ميدالية من الفضة تحمل مفتاحاً .. مفتاحاً واحداً فقط .. تناولته بيد مرتجفة ويدها الأخرى تمسح دموعها .. أغمضت عيناها بشدة قبل أن تحاول فتح الدرج وهي تأمل أن يكون هو المفتاح المنشود وأن تجد حلاً لكل مشاكلها وأسئلتها ..
وفعلاً دار المفتاح في القفل بسهولة .. وفُتح الدرج .. ويالها من مفاجأة .. لم تجد فيه شيئاً سوى مفكرة سوداء اللون ولا شيء آخر .. أبداً .. بحثت في كل أنحاء الدرج .. لدرجة أن سحبته من موضعه وقلبته لتتأكد من خلوه .. وغمرها اليأس من جديد .. ورفعت يدها لتضرب بها المكتبة بقسوة .... فتذكرت أن في يدها مفكرة لا تدري محتواها .. وماذا كانت تتوقع أن تجد .. هل توقعت أوراقاً ومستندات توضح لها الحقيقة أو توقعت دماء وسكاكين .. يجب أن ترضي بما وجدته .. وفعلاً أعادت كل شيء كما كان عليه ووضعت المفتاح في مكانه .. وأخذت معها المفكرة السوداء إلى حجرتها وفتحتها .. إنها عبارة عن مذكرات يومية مكتوبة بخط أسود دقيق .. أنها فتاة تتحدث عن أيامها .. ترى من هي ؟ إن الإسم غير مكتوب على الإطلاق .. فقط التواريخ والأيام .. ودفعها فضولها إلى أن تقرأ في هذا الدفتر ..
الأحد ٢/١٦
عدت اليوم من المدرسة متعبة فألقيت بكتبي على أقرب أريكة ونمت .. وصحوت بعد ساعة فقط على أصوات أخوتي وهن يتشاجرن عند رأسي .. صرخت فيهن أن يسكتن .. تحولت المشاجرة نحوي .. في ذلك اليوم ضربتني أمي وبكيت بكاءً شديداً .. لماذا أنا التي تضربني أمي دوناً عن أخواتي جميعاً .. إنها تكرهني .. ربما لأنهن جميلات أكثر مني أو ربما لأني قبيحة العائلة ..
توقفت سارة عند هذا الحد من القراءة وهي سارحة بفكرها .. ترى من هي هذه الفتاة .. إن قصتها تشبه قصتها إلى حد بعيد .. إن في حياة هذه الفتاة ملامح كثيرة من حياتها هي .. ترى من هي ؟ ولماذا يحتفظ زوجها بمذكراتها في درج

مكتبه .. ترى هل هي تهمه إلى هذه الدرجة .. ترى هل هو يحبها ؟ ومضت تقرأ بلهفة شديدة ..

الخميس ٢/٢٠

اليوم رأيته .. قابلته خلسة من أهلي .. تحملت مصاعب جمة لكي أراه .. قلت لأمي بأنني أريد زيارة إحدى صديقاتي .. وافقت أمي على مضض .. ولكنها طلبت مني أن ترافقني إحدى أخواتي الصغار ..

رافقتني أختي الصغرى أخذتها وأنا واثقة بأنها لن تفهم شيئاً .. أنها في الخامسة من عمرها .. وهناك رأيته عند صديقتي .. إنه أخوها .. نظر إلى في لهفة .. وأمسك بيدي في حب .. إنه يحبني أنا متأكدة من ذلك .. إنني لست جميلة بل قبيحة ولكنني واثقة من نفسي وواثقة منه هو .. سألني أن يتقدم لخطبتي ولكنني طلبت منه أن يؤجل الأمر حتى أنتهي من دراستي الثانوية .. أنه حبي وكل شيء في حياتي ..

تنهدت سارة بصوت مسموع .. إذن هي تحب .. ترى هل زوجها هو الشخص الذي تحبه هذه الفتاة ترى هل عاش سعيد قصة حب قبل أن يتزوجها .. ومع هذه الفتاة بالذات .. وأحست بالشوق الشديد لقراءة هذا الدفتر فلربما استشفت من ورائه شيئاً .. وإلا ما الذي يحدو بسعيد إلى أن يخفيه في درج مكتبه بالتأكيد هو من تحب هذه الفتاة .. وعادت سارة تلتهم السطور ..

الأثنين ٢/٢٤

إنني أحبه كثيراً وهو إنسان مرموق ولن يرفضه أهلي إذا تقدم لخطبتي .. ولكنني خائفة ..

منذ صغري وأنا أشعر بأنني مختلفة عن بقية البنات .. أشعر بأنني نسيج بمفردي .. حتى أخواتي لا أشعر بأنني منهن لا أستطيع الاندماج بسهولة مع أي واحدة منهن ..

اليوم حدث خلاف حاد بيني وبين زميلتي صفاء .. ليس من عادتي أن أختلف أو اتناقش مع أي طالبة ..

حتى أخوتي أتحاشى النقاش معهن .. بطبعي أحب الوحدة والانطواء .. ولكن صفاء تعدت كل شيء وأهانتني .. قالت لي بالحرف الواحد ..

- أنت إنسانة غريبة .. أيوجد فتاة في مثل سنك لا تعرف كيف تختار

ملابسها .. ولا تضع الماكياج ..
نظرت إليها باحتقار وأنا أرد .. لاشأن لك بي .. وكلمة منها وكلمة مني تطور النقاش إلى عراك بالأيدي .. وتدخلت مجموعة من الطالبات لفك النزاع وإلا كنت مزقتها بأسناني ..
صفاء على حق فأنا بطبعي لا أحب الملابس والماكياج كأخوتي .. ربما أنا معقدة لأنني أشعر بأنني قبيحة ..
عند هذا الحد سمعت سارة المفتاح يدور في قفل الباب الخارجي .

★ ★ ★

نظرت إلى الساعة فوجدتها الحادية عشر تماماً كما اعتاد زوجها أن يعود كل يوم .. أخفت المفكرة بسرعة تحت السرير وهي تتخيل شكله ككل يوم ..
وفعلاً دخل عليها الحجرة بثيابة الممزقة والدماء تنزف من أنفه وتبلل ملابسه ..
لم تفاجأ ولم تهتز لها شعرة .. فقط نظرت إليه بهدوء وقالت بملل دون أن تنتظر الرد .. ماذا حدث لك اليوم .. أيضاً ..
كالعادة أدار لها ظهره وخرج قائلاً :
- لا شيء .. فقط معركة بسيطة مع بعض الأصحاب ..
ابتسمت بسخرية وهي تقول لنفسها .. يجب أن أكتشف السر وبأية طريقة ..
أحست سارة بأن هذه المفكرة لن توضح لها الحقيقة كما كانت تتوقع .. لن تجد فيها شيئاً هاماً .. لن تجد فيها الشعاع الذي يحيل حياتها الداكنة إلى أنوار باهرة قوية تسطع منها الحقيقة ..
خرج من الحمام ودخل الحجرة وهي كما هي مكانها لا تتحرك .. وفجأة .. ومضت في ذهنها فكرة جهنمية وقررت تنفيذها وبأسرع مايمكن .. أنه اختبار بسيط .. لترى مدى استجابته لها .. وقف ينظر إليها بذهول وهي مستلقية على السرير باسترخاء ..
أفاق من ذهوله بسرعة وهو يقول لها :
- سارة أريد أن أنام .. من فضلك أخرجي من الحجرة ..
تمطت وهي تقول :
- ولكنني أريد أن أنام ..

- لا أرجوك .. لا .. أخرجي ..
- إنني لم أنم البارحة من شدة الخوف .. إنني لا أستطيع النوم بمفردي ..
- أرجــوك ..
- أرجوك أنت ارحمني .. أن حياتي معك كلها ألغاز .. منذ أن تزوجتك وأنا لا أعرف طعم الراحة ولكن أن تتركني أنام بالبيت بمفردي .. كلا .. وألف كلا .. أنام في بيت أهلي أفضل لي .. أنني .. وتوقفت فجأة عن الكلام .. راعها ما رأت على وجهه من ملامح الألم والخوف .. أحست بأنه في صراع شديد مع نفسه .. وفعلاً انبثقت الدموع من عينيه .. وتحدرت الدموع لتغرق وجهه وحاول كتم شهقة بكاء ولكنه لم يستطع ..

نظرت إليه في دهشة ممزوجة بالشفقة وكادت تبكي لمنظره المحزن .. ولكنها خرجت بسرعة من الحجرة لتتحاشى إحراجه .. وألقت بنفسها على مقعد كبير في الصالة .. وصدرها يعلو ويهبط من شدة الانفعال وأخيرا .. أخيرا جدا .. هدأت .. وأخذت تفكر بهدوء مثبتة نظراتها في اتجاه احد لا يتغير

لماذا فعل ذلك .. ؟

لماذا لا يريد أن يقربها أبدا ؟ إنه يكذب .. أنه ليس مريضا .. فلو كان مريضا حقاً لحاول على الأقل ولو مجرد محاولة .. أو حتى لم يجزع عندما يراها مستلقية على السرير وترفض أن تغادره ..

ولماذا يبكي بهذا الشكل ؟ إنها تخاف من ذلك .. إنها لم تر أبدا رجل يبكي .. أبوها لم يبك قط أمامها حتى أخوتها لم تر أحدا منهم باكيا على الإطلاق .. وكانت تسمع أمها دائما تقول :

- إن البكاء يعيب الرجال .. ولكن .. هذا ليس مهما .. ليس مهما أن يبكي .. المهم هو ما الذي يبكيه ..

والآن ماذا تفعل ؟ هل تتركه وتذهب إلى بيت أبيها ؟ يا إلهي .. وماذا سيقول الناس عنها .. بل كيف سيواجهها أهلها .. وأمها .. إنه لم يمض على زواجها أيام .. سيتقولون عليها الأقاويل ....

وسيضربها أبوها وستقول لها أمها :

«إنه إنسان نبيل وأنت لا تستحقينه» .. لن يفهم أحد .. ولن يقدر أحد .. ولكن ماذا تفعل بهذا العذاب الذي أصبح ينوء بحمله كاهلها .. إنها تستطيع أن تتحمل

هذا كله ولكن كيف ؟ .. كيف تبقى في بيت كهذا بمفردها ليلاً ؟ .. بل حتى ليلاً ونهاراً !! .. ومضت ساعة وهي في نفس المكان .. وعلى نفس الأريكة وفي نفس الدوامة .. وفي عينيها نفس النظرة المذهولة .. وطرأت على ذهنها المفكرة السوداء .. أحست بحنين إليها .. لقراءتها .. لا لتبحث فيه عن الحقائق كما أرادت في البداية .. ولكن لتعرف ماذا حدث لهذه الفتاة بعد ذلك .. لا تدري لماذا اهتمت بأمرها .. ربما لأنها تشبهها في كل شيء .. في تصرفاتها .. في إحساسها .. في دمامتها .. وفكرت بسرعة كيف تأخذ المفكرة وزوجها ينام فوق السرير الذي وضعتها تحته ..

لتحاول أن تدخل بهدوء وعلى أطراف أصابعها .. فإنها لا تحتمل أن تجلس كل هذه الساعات وحيدة بانتظار استيقاظه من النوم .. إنها لا تحتمل .. لا تحتمل على الإطلاق ..

وفعلاً .. فتحت الباب بهدوء شديد .. ولكن سمرتها المفاجأة أمام الباب المفتوح لا تقوى على الدخول ..

فتحت عينيها وأغلقتها بشدة لتتأكد مما تراه .. وأذهلتها المفاجأة .. إنه نائم .. نعم ولكنه يحتضن ثوباً أصفر .. ثوب امرأة .. لا .. ليس أحد ثيابها .. إنها لا تحب اللون الأصفر .. وفي حياتها لم يكن لها ثوب أصفر .. إذن ثوب من هذا الذي يتحتضنه بشدة وكأنه يحتمي به من شرور الدنيا ..

ربما هو ثوب المرأة التي يحبها .. أو ربما هو متزوج بأخرى غيرها .. وهذا هو ثوبها .. ولكنها لم تر هذا الثوب قبل الآن .. ترى ما الذي جاء به إلى هنا إنها لم تر في يديه أي ثوب وهو يدخل إلى البيت ولم تر هذا الثوب أبداً في البيت ..

ضربت قبضة يدها في الباب بعنف .. التفتت خوفاً أن يكون قد أحس بشيء .. ولكنه كان كالميت لايشعر بأي شيء .. فقط تقلب من جانب إلى الجانب الآخر .... والثوب لايزال بين ذراعيه .. نظرت إليه بغضب وهي تود لو تخنقه .. وقالت بصوت هامس .. «تباً له إنه كومة من الأسرار .. ليتني أستطيع أن أتخلص منه» ..

وبحركة خاطفة أخذت الكتاب من تحت السرير وخرجت .. واستلقت على الأريكة في الصالة وأخذت تقرأ ..

الأحد ٣/١

لم أذهب اليوم إلى المدرسة .. إنني أكرهها .. وليتني لا أذهب إليها أبداً .. أكره كل شيء فيها .. أكره حتى صديقاتي .. أنني لا أشعر بالانتماء إليها أبداً .. أشعر بالغربة الشديدة فيها ..

أتت أمي في الصباح لإيقاظي من النوم مع إخواتي ولكنني تظاهرت بالمرض وبقيت في السرير أتقلب من جنب إلى جنب .. وفي العاشرة صباحاً أخذت الهاتف إلى حجرتي .. إنها فرصة لأحادثه .. فلن أستطيع أن أحادثه وسط ضجة إخواتي .. ولكنني لم أجده في المكتب .. أو ربما رفض أن يتحدث لي .. لقد بدأ يتهرب مني .. إنني أشعر بهذا منذ فترة قصيرة .. معه حق .. هو يريد الزواج وأنا أتهرب منه وكيف لا أهرب من الزواج وأنا أشعر بأنني لست طبيعية كبقية البنات .. إنني في السابعة عشرة والدورة الشهرية لم تأتني بعد .. إنني أخاف أن أسأل أمي في هذا .. أخاف أن أسأل أي إنسان ..

وفي هذه اللحظة سمعت سارة صوت الهاتف يرن وتناولت سماعة الهاتف بيدها وسمعت صوت أم سعيد يجيبها :

- سارة كيف حالك وكيف حال سعيد ..

ردت سارة عليها بصوت بارد لاحياة فيه :

- نحن بخير ..

- ماذا بك ياسارة .. هل أنت متعبة ..

- كلا ياخالتي ولكنني لم أنم ليلة البارحة .

لم ترد أم سعيد وسمعت سارة صوت تهدج أنفاسها من سماعة التليفون .. وأخيراً قالت بصوت قلق :

- لا بأس عليك .. المهم ياسارة إننا ننتظركم الليلة على العشاء أنت وسعيد .. لا تنسي .. مع السلامة ..

وأقفلت السماعة دون أن تنتظر الرد .. وأسرعت سارة تحتضن المفكرة بلهفة شديدة وفتحتها بسرعة لتقرأ ..

السبت ٣/٧

يالها من مفاجأة شديدة زلزلت كياني .. إنني لا أستطيع أن أصدق .. حتى أمي وأبي أصيبوا بصدمة شديدة لايزالون يعانون منها حتى الآن .. ولكنهم على

الأقل فرحون .. كلهم سعداء .. ولكن ما شعوري أنا بالضبط ..
إنني لا أدري .. هل أفرح أم أحزن ؟ هل حقاً سأتحول إلى رجل ..
هنا توقفت سارة عن القراءة وهي لا تكاد تستطيع أن تبتلع ريقها من شدة الانفعال .. وعادت إلى القراءة ..
هل حقاً سأتحول إلى رجل .. أن الطبيب أخبرنا اليوم بذلك .. وقال لابد من إجراء عملية عاجلة لتحديد الجنس .. يا إلهي سأتحول إلى رجل بعد فترة قصيرة لا تتجاوز الأسابيع .. إنني لا أحتمل الفكرة .. رغم إنني كنت أعاني في حياتي السابقة من عدم اندماجي في حياة البنات .. ماذا أفعل وكيف أتصرف في عالم الرجال .. ؟
إن أمي فرحة جداً وأبي فخور .. ويقول بأن الله حقق له أمله أخيراً في أن يكون له ولد في وسط خمسة بنات ..
توقفت سارة عند هذا الحد ودموعها تكاد تطفر من عينيها .. ما معنى هذا .. هل يعقل .. هل تتصور هل يمكن ؟ وكيف وأين ومتى ولماذا ؟؟ ترى هل سعيد هو الذي تزوجته يمكن أن يكون هو الفتاة صاحبة دفتر المذكرات هذا !؟ ..

★ ★ ★

ترى هل كان فتاة في يوم ما .. إن هذا يفسر كل شيء .. لا تحتاج أبداً لتفسير أكثر من هذا .. واقشعر بدنها بشدة وهي تتخيل أنها تعيش مع فتاة كزوج وزوجة ..
وأغمضت عينيها وكأنها تنفي هذا الاحتمال .. ولكن .. لماذا يا ربي .. لماذا يكون هذا هو نصيبها من الدنيا .. أرادت أن تعيش بسعادة فعاشت التعاسة كلها ..
وفكرت هل تكمل قراءة هذه المذكرات .. ولكنها تشعر بغثيان شديد .. فأسرعت إلى الحمام لتلقي ما في جوفها .. واستسلمت على الأريكة وهي تشعر بتعب شديد بعد ما لاقته .. وأغمضت عينيها لترتاح قليلاً ولكنها نامت .. نامت دون أن تدري وفتحت عينيه لتجده أمامها بكامل ثيابه والمفكرة في يده .. تذكرت ما حدث .. فشعرت بالخوف يسري في بدنها كله .. وأحست أنها مريضة .. مريضة جداً .. نظر إليها بقلق ويداه ترتجفان .. وقدماه ترتعدان .. أن بدنه كله

يهتز بعنف ..
وبادرها قائلاً ونظرات القلق واضحة في عينيه :
- سارة .. جاوبيني بصراحة .. ماذا عرفت بالضبط .. وماذا قرأت في هذه المفكرة ..
تكلمت دون أن تنظر إليه ..
- عرفت كل شيء ..
- ماذا عرفت بالضبط ؟ ..
- عرفت كل ما ينبغي أن أعرفه منذ زمن بعيد .. والآن يجب أن أفهم ما موقفي بالضبط .. وما هو دوري الذي من المفروض أن أقوم به في حياتك ..
- سارة .. سأقول لك كل شيء .. ولك حرية الاختيار ..
ولكن عديني أولاً .. إن كل ما يقال بيننا لن يعرفه أحد ..
همست بصوت مبحوح .
- أعدك ..
- لقد كنت أتمنى أن أصارحك بكل شيء منذ البداية .. ولكنني خفت .. خفت أن تسيئ فهمي ..
وخفت أكثر أن تخبري أهلك بما أقوله لك فتحدث الكارثة ..
- إنني .. ؟
- أرجوك لا تقاطعيني حتى أتم حديثي معك .. صدقيني كنت أنوي أن أخبرك ولكنني كنت أضعك تحت الاختبار .. وفعلاً خلال تلك الأيام .. لم تصدر منك أية كلمة .. ولتتأكدي من صدق نواياي .. لقد كنت سأخبرك بكل شيء الليلة .. أنا وأمي .. ولأثبت لك هذا فأن أمي اتصلت بك اليوم لتدعونا عندها الليلة .. أليس كذلك ؟ ..
وأومأت برأسها دون أن تتحدث .. كانت متعطشة .. لتعرف كل شيء .. كل شيء .. وتابع سعيد حديثه ..
- لقد كنت فتاة .. نعم كنت فتاة .. أذهب إلى المدرسة وألعب .. وكل شيء كنت أفعله كبقية الفتيات ولكنني كنت حائرة .. أشعر بأن هذا العالم ليس عالمي .. وهذه الدنيا ليست دنياي .. وفعلاً بعد أن ذهبت للطبيب لإجراء فحص .. طلب الطبيب بأن تجري جراحة عاجلة لأتحول إلى ذكر

همست سارة وكأنها تخاف أن تجرحه ..
- أعرف هذا ..
ورد سعيد
- ولكنك لا تعرفين ماحدث بعد هذا .. صحيح أن أمي فرحت وأبي رقص طرباً .. وإخواتي جميعاً افتخروا بي .. إلا إنني كنت أتمزق .. أشعر بأنني باهت الشخصية .. ليست لي ملامح معينة .. لا أنتمي لأي جنس .. وعشت فترة رهيبة قاسيت فيها الأمرين .. كنت أتعذب فعلاً .. لم أندمج في عالم الرجال .. وأشعر بحنين جارف لعالمي الأول .. عالم النساء ....
فذهبت إلى الطبيب طالباً منه أن أعود كما كنت فرفض رفضاً قاطعاً وطردني من عيادته .. ولما رأت أمي حالتي تلك رأت أن تزوجني ..
تكلمت سارة بهدوء ..
- وأنا كنت من وقع عليها الاختيار .. ولكن لماذا ؟
صمت سعيد قليلاً قبل أن يقول :
- ولكن .. لن تغضبي لو أخبرتك ؟
أشاحت بوجهها وهي تقول :
- أعلم .. لأني إنسانة قبيحة شوهاء وبالتأكيد سأوافق بسرعة .. وسأرضى بأي شيء ولن أتكلم ..
ابتسم سعيد ورد عليها بصوت هاديء :
- ليس هذا بالضبط .. ولكنني كنت مقدماً على تجربة رهيبة وخطيرة جداً بالنسبة لي .. شيء لم يحدث أبداً في حياتي ..
ورأت أمي أن أجرب ولن أخسر شيئاً .. وقالت لتكن زوجتك فتاة بسيطة لا تعترض على شيء ..
ونظر إليها طويلاً قبل أن يتابع :
- وهذا ما حدث ..
وسألته سارة :
- ولكن لماذا تنام كل ليلة في بيت أمك .. ؟
- قلت لك بأنني قررت أن أجرب .. ولكن في ليلة الزواج كرهت الفكرة ككل .. وأحسست بأنني أشمئز من كل شيء .. ولم أطق البقاء في بيت واحد معك ..

أشعر بأنني أظلمك معي دون ذنب ارتكبتيه .. وكانت أمي تحاول أن تعيدني إليك ولكنني كنت أرفض رفضاً قاطعاً ..

- إذن .. لماذا تعود كل يوم على هذه الحالة المزرية .. ؟

- أشعر بصراع نفسي رهيب .. أريد أن أعود إلى حالتي الأولى ولكن وجودك في عالمي يقيدني يجعلني أحس إنني رجل وأن هناك زوجة تنتظرني .. ولكنني كنت أتمزق فكنت في كل صباح وبعد أن أصحو من النوم أذهب إلى المستشفى وأطلب مقابلة الطبيب .. ويرفضون لأنهم يعرفوني فأصرخ بأعلى صوتي طالباً أن أعود إلى حالتي الأولى .. فيلقون بي في الخارج وأعود مرة أخرى وأفتعل الشجار معهم ليدخلوني .. وأبقى أنتظر الطبيب حتى الحادية عشر لأنه بعد ذلك يذهب إلى العيادة الخاصة به .. ولكنه لا يعيرني التفاتاً ..

كنت مصراً على أن يعيدني إلى حالتي الأولى ..

تكلمت سارة فخرج صوتها مهتزاً مرتجفاً ..

- والآن ..

- الآن لك أنت كل الخيار .. أما أن تحتملني على هذه الحالة التي أنا فيها الآن .. ربما أعود فتاة وربما أعود رجلاً .. أو .. الفراق ..

- ولماذا لم تحدد ما تريد قبل أن تتزوجني ..

- لم أكن أعلم أن هذا سيحدث لي .. أقنعتني أمي بأن حالي سيتحسن بعد الزواج .. وسأصبح رجلاً ككل الرجال .. ولكنها أخطأت بالتأكيد فظلمتك معي ..

ولكن ربما سأتجاوز هذه الفترة بنجاح بفضلك وأبقى مديناً لك بقية الحياة ..

وجاء صوتها بارداً لا حياة فيه :

- ولماذا أبقى .. هل تحبني ؟

- إنني لم أحب في حياتي إلا شخصاًواحداً ..

- أعرف .. وأين هو هذا الشخص ..

- لقد تركني منذ فترة طويلة .. وأعتقد الآن أنه متزوج ولديه أطفال ..

هل أترك لك فرصة لتفكرين ..

- لا وقت للتفكير .. أريد أن أعود إلى بيت أهلي وأتمنى أن نبقى أصدقاء ..

- كما تشاءين .. ولكن كيف أطلقك ونحن لم نتزوج إلا منذ فترة بسيطة .. ماذا

سيقول أهلك ؟
وماذا سيقول الناس ؟
- لايهم .. أنا أعرف كيف أتصرف ..
وفعلاً عادت سارة إلى بيت أهلها في نفس الليلة .. بعد أن اتفقت مع سعيد على أن يختفي شهراً على الأقل .. وأخبرت أهلها بأنه سافر في مهمة تتعلق بالعمل وواجهت نظراتهم المتسائلة بدهشة ...
بنظرات قوية .. لا تخشى شيئاً .. وبعد شهر وصلتها ورقة الطلاق وسط صرخات أمها وبكاء أختها وجزع أبيها وقلق أخوتها .. ولكنها بقيت كما هي لاتهتز لها شعرة .. لا تتكلم ولا حتى تبكي .. أخذتها أمها على انفراد وهي تسألها ..
- ما الذي حدث يا سارة .. لماذا طلقك بهذه السرعة ؟
- لا أدري ..
- كيف لا تدرين وأنت لم تعيشي معه إلا أياماً ..
- لا أدري ..
لم تخبر أمها بشيء ولم تظفر منها أمها بطائل ..
وتناقشت أمها مع أبيها طويلاً في موضوع طلاقها .. ورفض أبوها أن يذهب إليه ليتفاهم معه ..
ورفضت هي أن تعود ..وبقيت الأم تبكي وتلطم خديها وتنعي حظ ابنتها الثانية مريم قائلة بأن هذا سيؤثر على مستقبلها في الزواج ..
وبعد ستة أشهر من طلاقها .. حضرت فتاة لزيارة سارة .. استقبلتها أمها بدهشة فلم يسبق أن زارت سارة أي صديقة .. ولكنها أخبرت الأم بأنها صديقة سارة منذ أيام زواجها ..
ابتسمت سارة وهي تستقبلها .. وقالت لها بفرحة ..
- إذن تحدد مستقبلك ..
إنها زوجها سعيد عاد إلى أصله وطبيعته .. وجاءت لزيارتها ..

★ ★ ★

لــن أعـــود

كانت تعلم بأنه يخونها .. وكان يعلم بأنها تعلم .. فكان يتمادى أكثر وأكثر .. وهي تعلم وتصمت .. تزوجته بعد قصة حب رائعة من طرف واحد .. طرفها هي .. كانت تحبه منذ وعت عيناها على الدنيا فهو ابن عمها .. الشاب الوسيم المدلل .. المرفه .. المغرور .. ولم تكن تحبه وحدها .. كانت تعلم بأن جميع فتيات العائلة وغير العائلة يهمن به حباً .. فقد كان حلم كل فتاة .. وأمل كل عانس وفخر كل أم .. ومطمع كل عائلة .. كان إبراهيم بالإضافة لشبابه ووسامته إنساناً ناجحاً .. نجح في مدرسته .. ونجح في إدارة شركات أبيه .. ونجح في علاقاته الاجتماعية .. فقد كان النجاح هو أساس حياته .. وكانت مريم تعرف كل هذا .. وتحبه أكثر وأكثر وأكثر .. ولم تحاول يوماً أن تلفت أنظاره إليها أو حتى تُظهر ولو جزءاً بسيطاً مما يزدحم به قلبها الحائر .. رغم إصرار صديقاتها على أن تحادثه عن طريق الهاتف .. ولكنها رفضت .. وأبت إلا أن تكتم حبها داخل أضلعها .. فهناك العشرات غيرها وجميعهن يحببنه .. تلك تبعث له الخطابات بانتظام وتلك تحادثه عبر الهاتف وتلك تراسله بواسطة أشرطة الأغاني .. وأخرى تخرج معه .. و .. و .. إنهن كثيرات .. أكثر من أن تجد لها مكاناً بينهن .. ثم إنها ترفض أن تمرغ حبها في الأوحال كما تفعل الأخريات .. وأيضاً هي تعرف بأنها ليست جميلة لتقارن نفسها بهن .. بل إنها حتى أقل من عادية .. وليست مؤهلة بتعليم عال .. ولا حتى موظفة .. ولكن لدهشتها الشديدة ترك الجميع وطلبها هي .. هي بالذات .. صعقت .. هربت الدماء من وجهها وشل لسانها فلم تنطق .. سألتها أمه للمرة الثانية :

– إنك لم تردي يا مريم .. هل توافقين على الزواج من إبراهيم ..

خرجت الكلمات من فمها بصعوبة وهي تقول :

– الرأي لكم .. أنا .. لا .. لا أعرف ..

ابتسمت أمها ابتسامة واسعة وهي تعزي اضطرابها إلى الخجل الذي يصاحب كل فتاة ..

أغلقت مريم على نفسها أبواب حجرتها وهي تنظر إلى كل شيء بعين جديدة .. الأبواب الشبابيك .. سريرها .. مخدتها .. حتى ثيابها .. كل شيء تغير في نظرها .. كل شيء تبدل في سحر عجيب .. وكان الدنيا كلها تزغرد لها فرحة وسعادة .. لا .. إنها لن تفرح حتى تعرف سبب اختياره لها دون بقية الفتيات وهي تعلم جيداً بأنهن يفقنها جمالاً .. وتعليماً .. وأنوثة .. لابد أن في الأمر سراً ..

ولكن سعادتها أنستها كل شيء حتى نفسها .. يكفيها أنه اختارها هي بالذات دون كل فتيات الدنيا ومضت أيامها في سعادة خالصة .. وفرح منقطع النظير ..

وفي ليلة زفافها نظرت إليه غير مصدقة .. والفرحة تلمع في عينيها .. تناهت إلى أسماعها ضحكات السخرية والاستهزاء .. سمعت كلمات كثيرة جرحتها حتى الصميم ..

«إنها لاتليق به أبداً .. إنها لا تبدو شيئاً إلى جانبه بوسامته وجاذبيته» ..

وسمعت صوت امرأة تعنف إبنتها بالقرب منها :

- أرأيت الذكاء .. إنها لاتملك ربع جمالك .. وحصلت على كل شيء .. الشباب والمال والجمال .

ولكن مريم صمّت آذانها عن سماع أي شيء .. وشملتهم جميعاً بنظرة استهزاء وشماتة .. ثم خرجت متأبطة ذراع عريسها الوسيم ..

في تلك الليلة سألته لماذا اختارها هي بالذات وهو يعلم بأن هناك من ... يفضلنها في كل شيء ..

صمت قليلاً وهو يفكر ثم قال :-

- ربما لأنك الوحيدة التي لم أصل لها .. الوحيدة التي لم ترمِ شباكها حولي .. الوحيدة التي لم أر ولا حتى أصبعها إلا ليلة زفافي إليها ..

ومضت بهم الأيام وهي تحاول أن تغير حياته .. تحاول أن تملك عليه كل إحساساته ومشاعره .. تحاول أن تصل لقلبه .. أن تكون كل شيء في حياته رغم جمالها البسيط ..

شهر .. اثنان .. ثلاثة .. وعاد إلى سابق عهده .. الفتيات حوله في كل مكان يذهب إليه .. وقد ازددن به جرأة ربما لمجرد إغاظة زوجته ..

وهي تعرف .. تعرف كل شيء وتسكت .. إنها ترى كل شيء في عينيه .. إن

تصرفاته كلها مكتوبة في عينيه .
وصمتت .. وطال صمتها والناس حولها يتحدثون .. يتهامسون عن مغامرات زوجها ونزواته .. ثم ارتفعت الهمسات لتصبح أصواتاً عالية تصرخ في وجهها إن زوجك يخونك ..
وصمتها يزداد وسكوتها يشتد .. وقلبها يتعذب .. وكل جزء فيها يتألم .. إنها لم تقصر معه بشيء .. لقد بذلت كل ما في وسعها ليحبها ويحب بيته ..
همست أمها في أذنها ذات يوم بأن الأطفال يربطون الرجل ببيته .. فحملت منه والأمل يزداد بريقاً أمام عينيها اليائستين .. وأنجبت طفلها الأول .. ثم الثاني .. ثم الطفلة الثالثة .. ولاشيء يربط بينهما حتى ولا أطفاله ، بل أنه دأب في الفترة الأخيرة على السفر إلى الخارج ثم يعود وحقائبه تزخر بعشرات الصور لفتيات عديدات وقلبها يتلوى بين ضلوعها وهي تتأمل تلك الصور .. إنها لاتستطيع .. إنها لا تستطيع حتى أن تتركه ..
وفي أحد أيامها اليائسة دخلت عليه إحدى صديقاتها القدامى وهي غاضبة أشد الغضب وبادرتها قائلة :
- ألا تشعرين .. أليس لديك إحساس .. إن زوجك مراهق كبير تصوري أنه يغازل ابنتي رنا ..
ذهلت رغم إنها كانت تعرف سلوك زوجها .. رنا .. إنها صغيرة لا تتجاوز الخامسة عشر من عمرها ..
فتحت فمها لتتكلم ولكن صديقتها عاجلتها قائلة :
إنك مغفلة بكل تأكيد .. ولكن أرجوك أن تنصحيه بأن يبتعد عن ابنتي وإلا .. فسوف نتصرف
خرجت صديقتها بعد أن اغلقت الباب وراءها بقوة ..
بقيت هي في مكانها لا تتحرك . في عينيها نظرة ذاهلة .. وبين شفتيها سؤال يتيم .. وفي قلبها شيء يتحطم .. شيء لا تدري كنهه ..
محاولة أخيرة قامت بها .. إن بيتها يوشك على الانهيار .. وحياتها شارفت على الضياع .. فلابد من محاولة ..
في نفس اليوم ذهبت إلى صالون لتصفيف الشعر .. وخرجت منه بتسريحة جديدة جميلة غيرت من شكلها قليلاً .. اشترت أجمل فستان رأته .. ثم ذهبت

إلى شقيقتها إيمان فهي أمهر من يقوم بعمل ماكياج لتجميل الوجه .. في المساء جلست مسترخية أمام التليفزيون تنتظر زوجها .. سمعت المفتاح يدور في قفل الباب أصلحت من وضعها قليلاً وهي تبتسم له .. ولكن .. إنه حتى لم ينظر إليها .. وصعد إلى حجرته ....

لحقت به والأمل يذوي داخل نفسها .. واليأس يقتحم قلبها بعنف ..

وقفت أمامه بكامل زينتها وقلبها يخفق بشدة .. نظر إليها نظرة عابرة ثم قال بملل :

– مريم .. هل تريدين شيئاً .. فأنا متعب جداً وأريد أن أنام ..

خرج صوتها مذبوحاً وهي تقول :

– لا .. لاشيء ..

خرجت من الحجرة وهي تجرجر أذيال الخيبة .. دموع حارة تساقطت من عينيها .. وبكت ..

بكت كل عمرها .. كل حبها .. والندم يطرد ما تبقى من حبه في قلبها .. لماذا وافقت على الزواج منه ؟

لماذا لم تطرده من حياتها كما طردت الكثير من قلبه .. لماذا تتركه ينتصر عليها .. إنها ليست أقل منه أبداً ..

في الصباح ذهبت إلى بيت أهلها تسبقها أحزانها وآلامها .. لم يسألها أحد عن شيء .. فقد كان الجميع يعرفون .. وكانوا يتوقعون هذه الخطوة منها منذ زمن طويل .. وليس الآن !!

كبتت أشواقها لأطفالها وقست على نفسها كثيراً .. داست على قلبها .. وداست معه الحنين والشوق والحب .. إنه لايستحقها ..

والأطفال يحادثونها كل يوم .. ويحكون لها عن حزن أبيهم وتمزقه وضياعه ويطالبونها بأن تعود .. لا لن تعود .. لقد احتقرها وأذلها وأهانها .. وجعل منها أضحوكة بين البشر ونادرة يتندرون بها في أوقات فراغهم .. إنه لايستحق حبها وحنانها وتضحيتها .. إنه لايستحق أي شيء .. أي شيء أبداً .. إنه ولفرط غروره لم يحاول حتى أن يتصل بها .. فقط أحضر أمه لترعى الأطفال في غيابه ..

وفي خطوة كبرى منها طلبت الطلاق .. تمنع في البداية وتحجج بألف حجة ..

ثم طلقها في النهاية ..
بكت وهي تستلم ورقة طلاقها .. ورقة نهاية حبها وتحطمه على صخرة الواقع المرير .. لا .. إنها ليست نادمة على طلبها الطلاق .. أبداً .. ولكنها أحست بأنها ضيعت سنوات من عمرها في سبيل أمل لا يأتى وبعد شهور طويلة تقدم رجل لخطبتها .. إنه ليس وسيماً كزوجها السابق .. وليس ناجحاً في أي شيء ..
بل على العكس من ذلك إنه مجرد مدرس عادي .. وقد فشل في حياة سابقة مثلها ولديه طفل واحد في السادسة من عمره .. ولكنه إنسان رقيق واسع الادراك .. يقدس الحياة الزوجية لأقصى درجة .. فقد عانى الكثير والكثير من زوجته السابقة .
التقت معه في كل شيء .. نفس الاهتمامات .. نفس الهوايات .. ونفس الإخلاص .. وجدت نفسها أخيراً
وجدتها معه .. فوافقت على الزواج منه وهي واثقة من سعادتها المقبلة .. إنها أبداً لن تفشل معه ..
وسمع إبراهيم زوجها السابق بخبر خطوبتها .. فأحس بأن غروره يوشك أن يتحطم .. وان كبرياءه أوشك على الانتحار .. فأسرع إليها حاملاً أطفاله الثلاثة .. استقبلته ببرود شديد ولم ترحب حتى بمقدمه ..
قال لها بصوت واجف :
- مريم .. هل تعودين .. أنا والأطفال بحاجة إليك ..
أجابت مريم بهدوء وتصميم :
- آسفة .. لن أعود .. في حياتي رجل آخر ..

« تمـــــت »

ولا زلت أحبـــــه

وقف أمامي بمنتهى القوة والجبروت وأنا أنظر إلى قامته الطويلة وشبابه الجميل بزهو شديد .. صرخ في وجهي محتداً :
- إنني لست طفلاً .. لذلك أرجو منك أن تحتفظي بنصائحك الجوفاء هذه لنفسك .. وأريد منك طلباً بسيطاً أرجو أن تنفذيه :
نظرت إليه بنظرات مفعمة بالحب والحنان .. لابد أنني مخطئة في حقه .. بالطبع هو ليس طفلاً .. كفاني تحكماً وهذياناً .. بالتأكيد أنا مجنونة ..
فتحت فمي لأتكلم بهدوء :
- طلباتك أوامر يا حبيبي ..
وألقى بكلماته المسمومة التي كانت كسكين حادة تقطع في أحشائي دون رحمة أو شفقة :
- أرجو .. أرجو أن تغادري هذا البيت ..
خرج صوتي مشروخاً مقتولاً وأنا أقول :
- إلى أين ؟
وصدى كلماتي يتردد في أرجاء الغرفة الحزينة ليعود مخترقاً قلبي ويدميني . يدميني حتى النخاع
جاء صوته قوياً هذه المرة دون تردد .. وكأنه أراد أن ينتزعني من داخله انتزاعاً ويستريح ..
- لايهمني إلى أين .. المهم أن تذهبي بعيداً عن بيتنا فأنا لا أريد مشاكل .. مشاكل .. أية مشاكل هذه التي يتحدث عنها .. وطفولته بين أحضاني .. وسهر الليالي .. وأمراضه الكثيرة وشبابه ومراهقته .. كلها ليست مشاكل ..
لم أستطع الرد .. فأين الكلمات وأين المنطق وأين العقل لأرد على كلماته تلك .. تساقطت الدموع من عيني لتحفر أخاديد من الأحزان داخلي .. وكيف أتركه .. وكيف أودعه وهو جزء لايتجزأ من روحي وكياني ..
ضحيت بشبابي لأروي شبابه .. ودعت دنياي لأملأ عليه دنياه .. تركت عالمي لأبني عالمه نسبت مستقبلي لأكوّن له المستقبل والأمل الذي حرصت على أن أزرعه داخل نفسه منذ صغره ..

لمس ترددي وتلكئي استعجلني بصوته القوي الذي تابعته خطوة بخطوة منذ أن كان مناغاة بسيطة ..
- لا وقت لدى لأراقبك .. أرجو أن تحملي ثيابك وترحلي .. ثياب .. وهل أنا من تعرف الثياب ..
كل ثيابي بعتها من أجله .. كل حياتي نذرتها له .. وهل ستهمني حفنة ثياب من بعده
إنه قتلني .. اغتالني في لحظة ..
أنظر إليه بطرف خفي .. وأكاد لا أصدق أنه هو نفسه ذلك الطفل الرضيع الذي تلقفته من أمه وهي تموت ..
إنها أختي الكبرى .. ليست كبرى بمعنى أن تكبرني بكثير فلم يكن بيني وبينها إلا ثلاث سنوات فقط ولكنها كانت كافية لكي تسمى هي الأخت الكبرى وأنا الصغرى .. وكان هذا دائماً مثار غضبها الشديد ونقمتها الدائمة التي كانت تصبها غالباً فوق رأسي ..

★ ★ ★

تزوجت أختي من شاب طيب قريب لنا .. كنت أحبه بجنون قبل زواجه من أختي .. وكان يعرف .. وكنت أعرف بأنه يعرف .. لذلك صدمت صدمة شديدة بطلبه الزواج من أختي .. ومرضت مرضاً أقعدني الفراش أياماً طويلة .. خرجت بعده صفراء .. ذابلة .. منهكة القوى .. وكأنني كنت أصارع حبه في داخلي حتى صرعته في النهاية بعد أن استنزف كل قواي .. لم يلحظ أحد شيئاً حتى هي .. أختي وصديقتي .. فقد كانت مشغولة بخطيبها وفرحة به لدرجة نسيتني معها .. وفي ليلة زفافها كنت سعيدة .. أبداً لم أتصنع السعادة فقد كنت سعيدة بالفعل وكأنني قد تخلصت من خطر يهدد حياتي ومستقبلي .. لا لأنه قريبي بل لأنها شقيقتي وأختي الوحيدة أيضاً ..
تمر الأيام وأنا أرى بشائر السعادة والفرح وهي تطفح على ملامح شقيقتي .. فرحت لفرحها ولم لا وأنا أرى بطنها يتضخم شيئاً فشيئاً .. ونسيت الماضي الحزين وبدأت أنا وهي وأمي نستعد لاستقبال المولود الجديد .. كنت أسمعها أحياناً وهي تتشاجر مع زوجها على نوع المولود الجديد وهل هو ولد أم بنت .. .. يتناهى إلى سمعي ضحكاتها السعيدة وهما يتفقان أخيراً على أن ما يأتي به الله هو خير على كل حال .. وأراهما من ثقب الباب وهما يحتضنان بعضهما بكل

الحب والحنان ومعالم السعادة تتضح جلية على وجهيهما الباسمين ولكن القدر كان قاسياً مراً مرارة العلقم .. فأبى إلا أن يخطف هذه السعادة من قلوبهما ..
مرضت أختي مرضاً شديداً أثناء شهور حملها الأخيرة .. فقد سقطت بين ذراعي فاقدة الوعي أثناء زيارتها الأخيرة لنا ..
حملناها أنا وأمي وأبي إلى المستشفى على وجه السرعة بعد أن اتصلت بزوجها على الهاتف ليلحق بنا هناك ..
أنهى إلينا الأطباء بالخبر المؤسف .. حالتها خطيرة جداً كل ما نستطيعه هو إنقاذ الجنين
إنها تموت ..
صرخت وأمي بوقت واحد ..لا .. لن تموت .. جثا زوجها على ركبتيه وأخذ يبكي بصوت مسموع توسل أبي إلى الأطباء بأن يحاولوا إنقاذها بأية وسيلة ..
وامتزجت دموعنا بيأس قاتل وعذاب مرير ونحن نرى طفلها المعذب المسكين والأطباء يحملونه داخل الحضانة الزجاجية المحتوية على الأوكسجين ..
اقتحمت الحجرة بقوة رغم رفض الأطباء وهناك رأيتها لآخر مرة .. كانت ضعيفة منهكة .. تتنفس بصعوبة .. أخذتها بين ذراعي وأنا أبكي والأطباء يصرخون ..
سمعت صوتها الخافت وهي تقول آخر كلماتها :
- الطفل .. الطفل يا أمينة .. إنه أمانة في عنقك ..
قلت لها من بين دموعي :
- لاتخافي ياحبيبتي .. سوف تعيشين لتربيته وترين أحفاده ..
ابتسمت وهي تردد :
- إنه أمانة في عنقك يا أمينة ..
وفجأة شحب وجهها .. وتسارعت أنفاسها .. فانتزعها الأطباء من بين ذراعي وأنا أبكي وأنتحب بقوة ..
وماتت .. ماتت شقيقتي .. لفظت أنفاسها الأخيرة وهي في المستشفى .. وحملت وليدها بين يدي بعد موتها بأسبوعين وخرجت به من المستشفى وأصوات الأطباء تخترق أذناي ..
- إنه لايزال ضعيفاً طرياً .. فاحرصي عليه أشد الحرص .. كل شيء خطر على حياته .. البرد .. الحر .. و .. و .. وتوصيات أخرى .. حملته بين يدي وكأنني أحمل قطعة مني .. كان قلبي يدق وعيناي تدمعان وشفتاي ترتجفان ..

وما بين لحظة وأخرى أنظر إليه إنه مخلوق ضعيف حقاً ليس كالأطفال الآخرين أبداً .. فقد كان صغيراً جداً وكأنه قطة صغيرة .. وكانت شفته السفلى ترتجف بشدة .. ضممته .. « فيصل » .. إلى صدري وأنا أعده بأنني سوف أنذر حياتي لأجله

كنت أرضعه وأغير له ملابسه وغياراته بنفسي .. وأسهر عليه عند مرضه .. أتحسس رأسه كل دقيقة وأنظر إلى وجهه كل ثانية .. أحببته .. أحببته بقوة وعنف .. ولم أشعر به إلا وكأنه إبن لي

حاولت أمي أن تساعدني على رعايته ولكنني رفضت .. كنت أرفض بشدة وأقول لها بأن المرحومة أوصتني أنا عليه .. وعرفت أمي .. وفهمت .. وابتعدت .. وتركته كله لي .. لا يشاركني فيه أحد ..

أسعدتني ابتسامته الأولى .. ورقصت طرباً لضحكته ومناغاته الجميلة .. وبدأ يتعافى شيئاً فشيئاً وأنا أطعمه بيدي .. وألاعبه .. وأضحك في وجهه .. وأعمل له حمامه بنفسي .. فأصبحت أماً وأنا في الثامنة عشرة من عمري .. نعم أصبحت أماً .. فكل مشاعري تجاهه كانت مضمخة بمشاعر الأمومة الغزيرة .. أبداً لم أحس بأنه كان ابن أختي ..

وعندما أتم الثانية من عمره تقدم أبوه لخطبتي .. فزعت .. وصرخت .. مذهولة :

- لا .. لن أتزوج زوج أختي ..

واجهتني أمي بقوة :

- إن اختك ماتت منذ عامين .. ثم إنك أنسب إنسانة له وستربين ابن أختك وكأنك أمه ..

ورفضت .. رفضت بكل إصرار .. بكيت وصرخت وتوسلت .. (لا .. لن أتزوج زوج أختي الراحلة حتى ولو كان آخر رجل في الدنيا .. لن أتزوجه) ..

رضخ الجميع تحت توسلاتي ولم يضغط أحد على لأوافق ..

ضممت فيصل بين ذراعي وأنا أبكي .. ولكن لا .. إن أباه غاضب لرفضي له .. ويطلب مني أن أسلمه ابنه .. هربت الدماء من وجهي .. وبرزت عيناي من محجريهما .. وقفز قلبي إلى حلقي وأنا أصرخ : -

- كيف يأخذ ابني مني .. لا .. وألف لا ..

تكلم أبي بهدوء :

- ولكنه ابنه ياحبيبتي ..
بكيت وأنا أقول :
- فليأخذ روحي ولا يأخذه .. إنه أمانة في عنقي .. بل إنه هو حياتي نفسها ..
وافق زوج أختي الراحلة على أن يبقى طفله معي على شرط إن تزوجت فسوف يأخذه مني .. وافقت بسرعة وتهور على شرطه الغريب .. وافقت مضطرة حتى لا يأخذ مني روحي .. طفلي الحبيب .. فيصل
وتمر الأيام وأنا أتعلق بفيصل وتعلقه يزداد بي لدرجة أنه أصبح يناديني ماما ..
وفي الرابعة من عمره تقدم شاب لخطبتي .. لا أنكر .. لقد كان مميزاً من كافة الوجوه . ولايعيبه شيء .. لذلك وافقت على الزواج منه .. وبدأت الاستعدادات لزواجي القريب فأخذت أتحدث مع خطيبي عن طريق الهاتف ولا زلت حتى اليوم أتذكر حديثنا لأول مرة وهو يسألني بلهفة :
- أنا أحببتك من النظرة الأولى وأتمنى أن تكوني أحببتني كذلك ..
فأجبته باسمة : -
- نعم أحببتك ولكني أحب شخصاً آخر أكثر منك ..
ابتلع ريقه وهو يسأل بقلق :
- هل هو خطيب سابق لك ؟
أجبته ضاحكة ..
- كلا إنه ابن أختي فيصل ستراه عمّا قريب في بيتنا ..
هكذا كان فيصل يدخل في أحاديثي مع خطيبي رغماً عني .. فقد كنت أحبه وكأنه ابني ..
وذات يوم دخل علينا زوج أختي الراحلة .. غاضباً وهو يطالب بابنه .. فقد سمع بأنني على وشك الزواج ..
وفي لحظة خوف واندفاع وجنون خرجت إليه وأنا أخبره بتصميم بأنني لن أتزوج أبداً .. إذا كان الثمن هو أن أتخلى عن فيصل .. وفعلاً رددت لخطيبي دبلته وطلبت منه أن ينساني ..
تساءل بذهول عما حدث .. أجبته بأنني في موقف صعب يتطلب مني الاختيار بينه وبين فيصل
حاول خطيبي أن يقنعني بأننا سنرى الطفل فيما بعد .. ولكنني رفضت حتى الاستماع إليه .. حتى أمي وأبي لم يملوا من ترديد نفس الاسطوانة المشروخة التي سمعتها مئات المرات قبل ذلك .. الطفل سيقضي على مستقبلك .. لا

تكوني بلهاء مجنونة .. أنت لازلت مراهقة .. و .. و ..و ..
وصمتت أذناي عن سماع أي شيء .. ومضيت في طريقي غير عابئة بأي شيء .. وأنا أضم فيصل بين أحضاني
وتمر السنون .. ويتقدم لي الخطاب واحداً تلو الآخر .. ثم يقل عددهم .. ثم لا أحد .. لا أحد أبداً يتقدم لخطبتي .. وأنا غير نادمة على شيء .. يكفيني فيصل إنه هو زوجي .. هو حياتي وابتسامته هي أكبر مكافأة لي على صنيعي له .. فحبي له يغنيني عن أي شيء آخر في الوجود ..
ويسرقني العمر لأجد نفسي وحيدة إلا من فيصل فقد توفيت أمي وقد بح صوتها من كثرة نصائحها لي بأن لا أضيع مستقبلي فأندم بعد ذلك .. ومات أبي وهو غاضب على لأنني لم أرضخ لتعليماته .. وجاء الدور عليه نعم هو .. فيصل .. ليتركني هو الآخر .. لا .. لا ..
إنه حبيبي وزوجي وكل شيء في هذه الدنيا .. جاء إلى متردد الخطوة .. متلعثم اللسان .. أنهى لي بخجل بأنه يحب فتاة ويريد أن يتزوجها ..
صعقت .. ذهلت .. تبخّرت أحلامي كما تبخر شبابي .. نظرت إليه بدهشة وأنا أبحث عن طفل الأمس الذي أصبح رجلاً كاملاً يطالب بحقه .. يطلب الزواج ..
أومأت بالإيجاب ويدي على قلبي .. تزوج فيصل .. أحسست بأنه ينسل من حياتي شيئاً فشيئاً رغم أنه يعيش معي إرضاء لي .. خفت وأنا أتحسس شعري الذي شاب عن آخره .. ليست هناك مقارنة بيني وبين زوجته الجميلة الشابة .. ولكنها مع ذلك أخذته مني .. أخذته كله ..
حضرت مولد طفله الأول كما حضرت مولده هو .. تلقفت طفله بين ذراعي بحب وحنان تلهبني نظرات زوجته بالاحتقار والازدراء المقيت ..
توالى عدد أطفاله حتى أصبح عنده ثلاثة أطفال كأنهم هو .. قلباً وقالباً .. أحببتهم كما أحببته .. عطفت عليهم كما عطفت عليه .. ولكن إحساسي بالغربة كان يزداد يوماً بعد يوم .. إحساس بأن دوري انتهى وأن على أن أفسح الدور لغيري .. إحساس بدأ يتضاعف ليلة بعد أخرى ..
بدأت أشعر بأنه يخجل مني .. بل يشعر بأنني عار عليه .. أنا عار عليه بعد أن تعبت كفّاى من حمله وهدهدته وهو رضيع ..
والآن بعد خلاف بسيط مع زوجته يلقي بكل اللوم علي .. بل يلقيني خارجاً .. يلفظني كالبقايا بعد أن لفظتني السنون ويتركني نهباً للضياع بعد أن امتص

حناني كله .. وحبي كله .. وعمري كله ..
أنظر إليه بكل اللهفة والحب وأنا استودعه الله .. أشعر بقلبي يهتز .. قلبي لايحتمل الصدمة .. قلبي الذي أحبه بكل لحظة من لحظات حياتي ..
أشعر بأنني أتهاوى على الأرض تحت قدميه .. ينحني إلى .. يسألني بلهفة .. يصرخ ملتاعاً ..
- ماذا حدث .. ماذا بك ..
لا .. إنه لم يغفر لي مرضي وضعفي .. وعجزي .. فأنا الآن أقيم في دار المسنين .. ولازلت أحبه ..
ولا زال هو حبي الأول والأخير .. فأنا لم أندم على تضحياتي له .. ولن أندم .. لن أندم أبداً ..

« تمـــت »

ليست كأي امـــرأة

كانت معقدة .. وكانت تعرف بأنها معقدة .. وسبب عقدتها هو الرجال .. إنها تكرههم بشدة .. بل تمقتهم .. لدرجة إنها إذا رأت رجلاً يسير في الطريق تبصق في وجهه ودون إبداء أسباب مما يحدو بالرجل إلى أن ينظر إليها بدهشة ممتزجة بذهول .. ويمصمص شفتيه بيأس ويضرب كفاً بكف وهو يقول لنفسه :

- لابد إنها مجنونة ..

وكانت تسمع مثل هذه الكلمات بل وأكثر منها .. وكانت تضحك .. تضحك بسخرية وهي تقول لنفسها :

- مساكين هؤلاء الرجال .. إنهم أغبياء ..

وعقدتها بدأت معها منذ أن كانت طفلة .. نشأت على الخلافات والمشادات التي كانت تحدث كثيراً بين أبيها وأمها .. وكانت تكره أباها .. تكرهه كما لم تكره أي رجل في حياتها .. فقد كان إنساناً قاسياً .. متسلطاً .. جباراً .. وكان كثير السفر .. يمضي بضعة أيام معهم ثم يسافر .. أسبوعاً شهراً .. شهرين .. ثم يعود وكأنه مجبر على العودة .. فيفتعل الشجار مع أمهم ومعهم .. وتمضي أيامهم معه كلها شجار .. وبكاء .. وعذاب .. عذاب لا يوصف .. وما أن يسافر مرة أخرى حتى يتنفسوا الصعداء وكأن هماً ثقيلاً قد انزاح عن كاهلهم .. فيمضي كل منهم يعمل ما يحلو له فهم في وجوده يخافون حتى أن يسمع دقات قلوبهم .. وكانت «نور» تخاف أباها بالإضافة إلى كراهيته .. تخافه أكثر منهم جميعاً .. فما أن تسمع صوته القوي يتردد في أرجاء البيت حتى تسرع راكضة إلى أحضان أمها وكأنها تهرب من وحش مفترس مخيف يريد افتراسها .. فتراه من بين دموعها وهو يعنف أمها على شيء لا تدريه .. وتشعر بالرجفة تسري في بدن أمها وتصل إليها .. فتكرهه وتحتقره وتتمنى لو يموت .. كانت في العاشرة من عمرها عندما رأته يضرب أمها .. رأته يضربها بقسوة وعنف وكأنه ينتقم منها ، ورأت أخاها الصغير أيمن وهو ممسك بجلباب أمها وكلاهما يبكيان .. دارت الدنيا أمام عينيها فلم تشعر إلا وهي واقفة أمامه .... أبوها .. الجبار .. القاسي .. وصرخت في وجهه :

- أرجوك ابعد عنا .. نحن لانريدك .. نحن نكرهك .. أنت لست أبا أبدا ..
توقف عن ضرب أمها .. وتوقفت أمها عن البكاء .. وتوقف الرضيع عن الصراخ .. أحست بأن كل شيء توقف في الدنيا إلا ضربات قلبها القوية وهي تواجه هذا الإنسان الشرس الذي تنطلق من عينيه شرارات الغضب الشديد وهو ينظر إليها .. غطت عينيها بكفيها الصغيرتين وهي تتوقع أن يترك أمها وينهال عليها ضربا وركلا ..
ولكن لا .. فتحت عينيها ولم تجده .. ومن وقتها لم تره أبدا .. حتى يومنا هذا .. فقد اختفى من حياتهم كلها وذهب في سفر دائم .. لايدرون هل هو حي أم ميت .. مسافر أم مقيم ..
وتنفسوا الصعداء .. ولكن ليس طويلا .. إذ أن نظرات أمها تعذبها .. تشعرها بأنها هي السبب في رحيله المفاجيء .. ولكنها أبدا لم تصرح لها بذلك .. كانت تخاف على مشاعرها إلى حد الجنون .. كانت تحبها .. تحبها أكثر مما تحب أولادها الآخرين .. ربما لأنها تعلم مشاعرها المرهفة وحساسيتها الشديدة .. ولكنهم ارتاحوا .. جميعهم ارتاحوا برحيله .. شعرت نور بأن أمها أصبحت أكثر سعادة وسرورا رغم تعاستها .. شعرت بأخوتها وقد أصبحوا أكثر انطلاقا ومرحا .. ولكنها لم ترتح أبداً .. لم ترتح فعقدتها جاثمة على صدرها كالحمل الثقيل لاينزاح عنها إطلاقا ..
ويمضي النهار بطوله وهي تفكر .. كيف رحل أبوها ولماذا ؟ وهل طلق أمها أم تركها هكذا معلقة ؟ وهل سيعود أم لا ؟ ومن أين تنفق أمها عليهم ؟ صحيح أن أباها ترك أملاكا كثيرة تدر ربحا وفيرا عليهم .. ولكن من يدير هذه الأملاك .. ؟ ومن يعطي الربح لأمها ؟ وهل أمها سعيدة هكذا بدون زوج ؟ بدون حب ؟ وعشرات بل مئات الأسئلة تطرق رأسها الحائر .. ولكن لا جواب ..
وفي الثامنة عشرة من عمرها تقدم شاب لخطبتها .. فرحت في البداية ولكن عقدتها الكبرى وقفت أمامها كسد منيع .. فأحست بالاختناق ورفضت .. رفضت الزواج .. ولكن أمها أصرت .. وخالها .. وعمها .. وخالتها .. ثم اجتمعت العائلة بكاملها لإقناعها بالزواج من سالم .
صرخت فيهم جميعا :
- ولكنه رجل ..
تبادلوا نظرات الدهشة والعجب .. نظروا إليها وكأنهم ينظرون إلى شخص

معتوه .. تكلمت أمها بهدوء وكأنها فهمت عقدتها :
- لا يانور .. إنه ليس كالرجال الآخرين .. إنه شاب ناعم .. رقيق .. وستحبينه بعد الزواج ..
وأخيراً رضخت لهم .. وتزوجته دون أن تراه ..
المرة الأولى التي رأته فيها كانت ليلة زفافها .. وذهلت .. كان ضخماً .. طويلاً وعريضاً .. غزير الشعر في كل مكان من جسمه .. كأنه تمثال مجسم من الرجولة الفذة ..
كرهته .. كرهته من أول نظرة .. ولم تحاول أن تنظر إليه مرة أخرى بعد ذلك .. حاول معها محاولات مستميتة ولكن أبداً .. إنها تنفر منه .. أنها تكرهه دون سبب .. إنها حتى لا تطيق الجلوس معه في حجرة واحدة .. صرخت فيه ودموعها تسيل على خديها ..
- أرجوك .. أرجوك طلقني ..
قال لها بهدوء :
- ولكن لماذا ؟ .. ولم يمض على زواجنا سوى يوم واحد ..
بكت كثيراً وبكى معها .. إن مظهره يختلف كثيراً عن جوهره .. إن له قلب طفل ..
ولكنها تمسكت برأيها حتى النهاية .. بكت أمها وهي ترجوها أن تعدل عن رأيها .. بخرتها خالتها بأنواع من البخور قالت بأنه يطرد الحسد والعين ويبطل السحر .. حاول خالها إقناعها بالهدوء .. وحاول عمها إجبارها بالقوة ..
عرضوها على جميع الأطباء والسحرة والمشعوذين .. ولكن لافائدة .. إنهم لايدرون بأن عقدتها تكمن داخلها وليس في جسدها ولو أحالوه إلى رماد ..
طلقها سالم في النهاية وهو يبكي فقد أحبها من أول نظرة .. وفرحت هي فقد أحست بأن كابوساً قد انزاح عنها أخيراً وأنها الآن حرة .. لا رجل في الدنيا يملكها .. وعاشت سعيدة رغم نظرات أهلها ..
ورغم همسات الأقارب .. ورغم كلام الناس .. ورغم الشائعات .. حتى تقدم سعد لخطبتها .. إنه يعلم بزواجها الأول .. ويعلم بقصتها مع زوجها الأول .. ويعرف أنها طلقت منه في غضون أيام معدودة لذلك تقدم لها وكله أمل أن يعيش معها حياة سعيدة خالية من المنغصات .
فرحت أمها بهذا الخطيب الجديد فقد يئست من تزويجها مرة أخرى وظنت بأنه لن يتقدم لها أحد بعد كل هذه الشائعات .. ولكن نور رفضت .. واجتمعت العائلة

مرة أخرى .. وحاولوا .. إقناعها بالحسنى .. وبالتهديد والوعيد ..
طلبت نور بأن ترى عريسها الجديد حتى تقتنع به .. وتتقبله ولا يحدث كما حدث في المرة الأولى ..
تشاورت الأسرة فيما بينها بهذا الأمر .. وأخيراً وافقوا ولكن على شرط أن تراه من ثقب الباب دون أن يراها .. أو حتى يلمح صورتها .. وافقت على مضض .. وجاء اليوم الموعود .. وجلس العريس في مكانه أمام باب حجرة الجلوس الذي أغلق بالطبع ..
أطلت نور من ثقب الباب ورأته .. فأعجبت بوسامته ورقته .. كان ضعيفاً .. هزيلاً ... رقيقاً .. لا يوحي شكله بأي شيء من علائم الرجولة .. وما بين دقيقة وأخرى يرفع يده البضة الناعمة ليزيح خصلات من شعره التي تساقطت على جبينه ..
وفي ليلة الزفاف نظرت إليه بكلتا عينيها وهي لا تشبع من النظر إليه .. ولكن لدهشتها الشديدة أشاح بوجهه عنها وأدار ظهره لها ..
أحست بقلق شديد وخوف أشد وعقدتها تتراءى لها أمام عينيها كوحش بغيض ..
بدلت ثياب الزفاف ولبست ثياباً عادية ..
جلست أمامه ولكنه عاد وأدار ظهره .. أحست بالدموع تلسع عينيها فلم يحدث أبداً في حياتها أن رفضها إنسان بهذا الشكل المقيت ..
وفي الصباح نهضت من فراشها ولم تجده .. بحثت عنه في كل مكان في البيت ولم تجده وأخيراً وجدت ورقة قرب السرير ما أن قرأتها حتى أغمى عليها فقد كانت ورقة طلاقها .. وإلى جوارها كانت ورقة أخرى يوجز فيها سبب الطلاق في كلمتين ..
«آسف .. ولكنني لم أشعر بحب نحوك وكأن هناك شيئاً ما يصدني عنك .. آسف مرة أخرى»
صدمت .. وكأن الأرض قد زلزلت تحت قدميها .. وبكت .. بكت كثيراً حتى جفت دموعها وعقدتها تزداد وتتعاظم أمامها حتى طغت على عالمها كله ..
صرخت أمها ولطمت خديها وشقت ثوبها وهي تبكي وتقول :
- يطلقك صباح يوم الزفاف .. إنه نذل .. إنه ليس رجلاً !!
رجل .. رجل .. رنت هذه الكلمة في أذنيها واخترقت قلبها وكأنها سيف مسموم .. أصوات تصرخ بداخلها وكأنها أنين مكتوم بل رجل يا أمي .. إنه

طلقني لأنه رجل .. رجل فقط لاغير ..
وكثرت الشائعات حولها .. قالوا بأنها إنسانة فاسدة منحلة هوايتها اللعب بالرجال .. وقالوا بأنها مجنونة .. وإنها ساحرة .. وإنها مريضة .. و .. و .. و .. إلى آخره من الكلمات المسمومة ..
ولكنها صمدت .. صمدت كثيراً في وجه العاصفة .. وتحملت الكثير من رياحها المسمومة وغبارها الكثيف الذي أحال كل شيء أمام عينيها إلى رماد .. رماد بغيض .. وعقدتها تجاه الرجال تزداد وتتكاثف حتى لم تعد تطيق رؤية أي رجل أمامها ..
وتمر الشهور طويلة مملة حزينة كروحها الهائمة في الفراغ .. ويتقدم رجل ثالث لخطبتها ....
إنه حاتم رفيق طفولتها وابن جيرانهم منذ كانت رضيعة في المهد .. ولكنه سافر في الفترة الأخيرة إلى الخارج وأمضى هناك سبع سنوات وعاد يبحث عن زوجة مناسبة له .. إنه يعلم بقصتها مع أزواجها ولايهمه إن كانت مطلقة أم عزباء .. ولايهمه حتى جمالها .. إن كل ما يهمه هو زوجة تشاركه حياته وتتجاوب معه عقلياً وفكرياً .. واختارها هي .. لأنه يعرفها منذ الطفولة ..
صرخت ودموعها معلقة فوق رموشها :
– لا .. لا أريد الزواج .. إنني اكره الرجال .. امقتهم ..
ضمتها أمها إلى صدرها وهي تقول لها بحنان بالغ :
– حاتم يابنتي .. ليس كغيره من الرجال .. إنه طفل .. ألا تذكرينه .. ثم إنك تعرفينه جيداً وهو يعرفك أيضاً .. فلا مجال لاحتمال الصدود بينكما .. فكري ياحبيبتي فهذا مستقبلك ..
وفكرت نور .. فكرت كثيراً .. واحتارت .. وبكت أكثر وأكثر .. أخيراً وافقت على الزواج بشرط أن يراها وتراه دون قيود .. ودون عقد .. ودون أبواب موصدة ..
نظروا إليها جميعاً في استنكار .. ثم اجتمعت أمها مع خالتها وعمتها وأختها الكبرى .. واقترب رأس عمها من رأس خالها وهما يتناقشان في الأمر .. وبعد فترة لا تدري كم طالت أعلنوا الموافقة على شرطها الوحيد ..
وفعلاً دخلت على عريسها في اليوم التالي وهي تقدم رجلاً وتؤخر الأخرى .. تقدمها مرارة التجربة ولوعة الأحزان وتؤخرها عقدتها الكبرى التي ما تزال ماثلة أمامها كالسد المنيع ..

رأته ورآها .. فحدث القبول من الطرفين .. وسعت العائلة لتزويجها بأسرع ما يمكن لإسكات الألسنة التي لاتزال تطلق الشائعات ..
في ليلة الزفاف .. ليلة زفافها الثالثة .. كانت خائفة .. وجلة .. مضطربة .. أكثر من كل لياليها السابقة .. كانت تخاف الفشل وقد ذاقت مرارته .. وترهب غدر الأيام وقد عايشته بكل سنوات عمرها الحزينة ..
وكأن السعادة تخاصمها .. وكأن الزمن يواصل طعنه لها بدون هوادة .. فقد لمحته ....
حاتم .. عريسها الجديد .. وهو يبتلع أقراصاً صغيرة لا تدري كنهها .. وبعد فترة اقترب منها وهو يترنح وقبل أن ينطق بأية كلمة سقط فاقد الوعي تحت قدميها ..
أغلقت عينيها بسرعة وفتحتها لتتأكد بأن ما تعيشه هو واقع أكيد وليس كابوساً مفزعاً أو حلماً بغيضاً
ألقت بنفسها على سريرها الكبير وهي تتقلب على جنبيها وكأنها تتقلب على فراش من الشوك .. وخاصم النوم عينيها .. وسكن الرعب قلبها .. فأغمضت عينيها وهي تتمنى لو أغلقتها إلى الأبد .. عند الظهر اقتربت من عريسها وفي عينيها تصميم وعزم .. وقد جفت دموعها كأوراق الخريف .. هزته بيدها ليستيقظ .. فتح عينيه الحمراوين في ذهول وهو يقول :
- ماذا .. من أنت .. ماذا حدث ؟
تكلمت بهدوء شديد :
- نحن مدعوان لحفلة غداء في بيت أمي .. والساعة الآن تقترب من الواحدة ظهراً .. فمتى سنذهب ؟
صرخ في وجهها :
- توقظينني من النوم من أجل غداء .. آسف .. اذهبي وحدك ..
وعاد يغط في نومه من جديد ..
وفعلاً ذهبت وحدها .. ذهبت والخجل يعقد لسانها .. والواقع المرير يعرقل خطواتها .. وإحساسها يتأرجح بين الألم والأمل .. ذهل الجميع لحضورها وحيدة .. فأخذت الهمسات تدور حولها في صمت وعلا صوت الهمسات شيئاً فشيئاً حتى وصل أذنيها وهي تتغاضى وتغمض عينيها وكأنها لم تسمع شيئاً .. أحزنتها نظرات أمها التي تقطر ألماً ومرارة .. وسؤالها يكاد يقفز من بين شفتيها لتواجه به ابنتها .. لماذا ؟ .. لماذا أنت وحيدة في صباحية عرسك ؟

وأين عريسك ؟
ولكنها وأدت سؤالها كما وأدت حزنها واستقبلت ابنتها بالفرح والتهليل ..
وعادت نور إلى بيتها .. إلى بيت الزوجية السعيد بعد أن أوصلها أخوها لتجد عريسها في حالة سكر تام .. والأقراص المخدرة تتناثر عن يمينه وشماله ..
اقتربت منه لتفيقه ولكن وكأنها في واد وهو في واد آخر ..
في صباح اليوم التالي أيقظته وهي بكامل لبسها وحقيبتها في يدها .. نظر إليها بدهشة وهو يسأل :
- ماذا تريدين ؟ .. ماذا حدث ؟
همست بصوت مبحوح :
- حاتم .. أعرف بأنك مدمن مخدرات .. لذلك أطلب منك الطلاق بهدوء وبدون ضجة ..
وعادت إلى بيت أهلها مطلقة للمرة الثالثة .. ولكن ليست كأي مطلقة .. إنها معقدة ....
معقدة من جميع الرجال .. وتكرههم كما لم تكره أي شيء في الوجود .. حتى إنها إذا رأت رجلاً منهم يسير في الطريق فإنها تبصق في وجهه .. فاحذروها فإنها ليست كأي امرأة ..

« تمـــت »

أبداً .. لم أكـذب

فتح لي الباب الخلفي للسيارة .. تعثرت وأنا أحاول الركوب .. ساعدني بحنان بالغ ودموعه معلقة بأهدابه إنني أرى دموعه رغم أنه يحاول باستماتة أن يخفيها عني .. ركبت أمي بجواره وهي تكتم شهقاتها ونهنهاتها فرت دمعة كبرى من عيني وأنا أشعر بقلبي يكاد يقفز من مكانه .. شعور بالخوف يتخلله اضطراب وحيرة وشوق إلى المجهول .. إنه شعور جديد على .. لم أحسه قبلاً .. علا صوت الراديو بأغنية معروفة شعرت بدموعي ساخنة على وجنتي وأنا أسمع صوت المطرب عبد الكريم عبد القادر وهو يشدو بأغنيته المعروفة « وداعيه يا آخر ليلة تجمعنا .. وداعيه .. وداعيه أحب الناس تودعنا .. وداعيه » ودموعي تسيل .. وبكائي يزداد وبدأت أنشج ببكاء مرير .. التفتت أمي إلى ودموعها تتجاوب مع دموعي وقالت لي بصوت تقطعه الشهقات :

– حبيبتي .. أنت لست أول فتاة تتزوج وتسافر .. كل الفتيات يد .. وبكت .. ولم تكمل جملتها

نهرها أبي وهو يقول :

– أم على .. ماذا حدث .. سعاد ستتزوج ولن تموت ..

المفروض أن تطمئنيها أو تهدئيها وليس العكس .. ثم وجه إلى كلامه وصوته يهتز :

– سعاد .. حبيبتي .. كما أوصيتك قبل ذلك .. قدري زوجك واحترميه فهو حياتك المقبلة ...

ولاتهتمي لشيء .. فخلال سنتين سوف تعودين إلى الوطن .. إننا ..

وصمت .. وطال صمته ثم قال بصوت حزين ..

– إننا سوف نحتمل فراقك فأنت لن تموتي .. فافرحي يا ابنتي وعيشي حياتك ..

وقفت السيارة أمام باب صالون التجميل ..

نزلت أمي وهي تمسح دموعها الكثيرة .. نزلت معها وأنا أمسح دموعي بظهر كفي ..

تكلم أبي :

– سعاد .. أخوك علي سوف يحضر ليأخذكم إلى الفندق .. أنا سأكون

مشغولاً .. لا تنسي وصيتي ..
تمتمت بكلمات خافتة وأنا أغادر السيارة .. شعور غريب يجتاحني .. خليط من الفرح والحزن والخوف .. ودقات قلبي تتسارع مع دقات الساعة .. والعاملات مجتمعات حولي .. تلك تدلك لي قدميّ .. وأخرى ترتب لي شعري .. واخرى تضع بعض اللمسات على وجهي ..
أرقب أمي من طرف خفي .. إنها لاتزال تبكي .. وجهها محمر وعيناها دامعتان وأنفها متضخم ..
يالها من إنسانة طيبة .. إنني أحبها لدرجة الجنون .. وهي تحبني أكثر مما تحب بقية أخواتي ..
في العاشرة تماماً كنت جاهزة .. ونظرات الإعجاب تحيط بي من كل مكان ..
وصوت أمي يأتيني مرتجفاً حزيناً وهي تقول :
– إنك تبدين أكثر من رائعة ياحبيبتي .. إنك أجمل عروس رأيتها في حياتي ..
ضحكت مصففة الشعر وهي تقول بمرح :
– كل أم تقول هذا عن ابنتها ..
وأنا كنت بعيدة عنهما .. هناك مع أحلامي وأمالي في دنيا غريبة حائرة ..
رأيته هو زوجي .. لم تكن المرة الأولى التي أراه فيها .. فقد رأيته قبل ذلك حينما جاء لخطبتي .. أمسك بيدي ونحن نغادر الفندق في طريقنا إلى المطار .. لوحت بيدي مودعة الجميع .. دموعهم تتلألأ حولي كالأضواء الخاطفة .. إنهم جميعاً يبكون .. ترقرقت الدموع في عيني فمسحتها بسرعة فقد أوصتني عاملة الماكياج أن اتماسك وألا أبكي .. وقد صمدت طويلاً ولم أبك .. طوال السهرة ..
في الطائرة المتجهة إلى لندن جلسنا في مقعدين متجاورين .. والجميع ينظرون إلينا بتطلع وإعجاب ...
إقترب مني هامساً .. جفلت وابتعدت عنه بسرعة .. ولكنني سمعته يتكلم :
– أريد أن أسألك وأرجو أن تجاوبيني بصدق وصراحة ..
همست بصوت خافت :
تفضل ..
علا صوته قليلاً وهو يقول :
– ألم يكن في حياتك رجل آخر قبلي ..
أخرسني سؤاله .. فلم أكن أتوقعه أبداً .. وتذكرت .. تذكرت الماضي البعيد ..

إنه ليس ماضياً .. إن ماحدث منذ خمس سنوات فقط ..
طلبت من أمي أن أذهب لأستذكر دروسي عند صديقتي ليلى .. لم تمانع أمي كعادتها .. فقد كانت واثقة مني ومن حسن تصرفاتي ولم يحدث أبداً أن خنت ثقتها هذه ..
في بيت صديقتي ليلى جلسنا نستذكر سوياً .. ثم استبد بنا الملل والزهق من الدروس .. صرخت ليلى فجأة :
- سعاد .. ما رأيك أن نلهو قليلاً .. نتسلى عن طريق الهاتف ..
جزعت فأنا لم أتعود على ذلك ولم أحادث أي رجل طوال حياتي .. لا عن طريق الهاتف ولا غيره .. رددت عليها بجفاء يغلبه ترددي :
- أنت تهذين بلا شك .. فأمي تقول أن اللعب بالهاتف خطر ..
قفزت ليلى من مقعدها وهي تجذبني بيدها نحو الهاتف وقالت :
- دعينا من ترهات هؤلاء العجائز .. تعالي ..
وأدارت رقماً عشوائيا بأصابعها اللاهية .. وأنا اتابعها بقلق وترقب .. ضغطت على مكبر الصوت
سمعت صوته .. شاب .. أي شاب .. أراها تحادثه دون خوف .. دون خجل .. ثم ألقت السماعة في حضني .. رددتها لها بسرعة ..
رمقتني بنظرة استهزاء وضحكت قائلة ..
- أنت جبانة .. خذي جربي ..
تناولت منها سماعة الهاتف وأنا أرتجف .. ترهبني بداية التجربة وتدفعني لذة المغامرة .. كلمته بضع كلمات .. سألني عن اسمي .. ترددت .. أشارت لي ليلى بأن أقول له أي اسم مزيف اخترت له إسماً عشوائيا .. كذلك هو أعطاني اسمه هشام .. ثم قال بأنه يريد فتاة واحدة لتحادثه .. لا اثنين .. غمزت لي ليلى بأنني أنا المقصودة .. فرحت .. سحرتني كلماته الحلوة .. أشعرتني بأنني أحلق فوق السحاب وأطير بين النجوم .. لفحتني حرارة الحب الكاذب .. فبدأت أهيم في عوالمه الخيالية .. أصبحت أكلم هشام مرتين في اليوم .. مرة عند عودتي من مدرستي ظهراً .. وأخرى في الليل عندما ينام جميع أهل البيت .. كنت أنتظر إلى جانب الهاتف حتى يرن ثم أسمع الإشارة المتفق عليها بيننا .. ونستمر نتحدث طوال الليل وحتى الفجر .. شربت من عالمي هذا حتى الثمالة .. فعشت فيه .. ونسيت دروسي .. وأهملت نفسي .. وابتعدت عن صديقاتي .. حتى ليلى ابتعدت عنها خوفا من أن تخطفه مني .. وفي أحد الأيام

لب هشام أن يراني
ضت .. أصر في طلبه .. طلبت منه مهلة للتفكير .. أنا جميلة .. وأعرف
نني جميلة .. ولكن ماذا لو رآني .. ماذا سيحدث بعد ذلك ..
بما كان يلهو .. أو ..
م تقف العادات والتقاليد كحجر عثرة أمامي فلا أستطيع أن اتخطاها .. رفضت
لطلبه .. ثار .. وهدد وتوعد .. ثم قاطعني ولم يعد يحادثني بعد ذلك ..
حسست بالفراغ يحطم حياتي بعد أن كان هشام يملأها .. حتى في انتظاري له
كنت مشغولة ..
لكن الآن .. فراغ .. وملل .. وعذاب .. فأنا أحبه .. واشتاق لصوته كثيراً ..
تصلت به ورجوته أن يعود لي .. بكيت له في الهاتف .. كرر طلبه السابق ..
صارحته بخوفي .. تنازل قليلاً وطلب الصورة .. صورتي .. فكرت ..
واحترت .. ثم قررت .. وأعطيته صورتي .. أجمل صورة لي
قضيت ليلة كاملة وأنا أختارها من بين الصور ..
أوقف سيارته في مكان بعيد عن مدرستنا وأسقطتها في سيارته .. ومضيت
مبتعدة وكأن شيئاً لم يكن ..
في نفس الليلة حادثني .. وأسمعني أجمل عبارات الحب وأرقها .. قال إنه لم ير
إنسانة في مثل جمالي أبداً .. أغضيت عيني على كلماته وأنا أحلم بليلة زفافنا
وكيف تكون ..
ولم تمض أيام حتى طلب أن يراني .. ولكني قلت له ضاحكة :
– الصورة عندك .. ألا تكفي .. أنظر إليها حتى تشبع ..
ولكنه رد على بصوت غريب لم أعهده منه :
– سعاد .. أريد أن أراك .. ضروري .. أنتظرك في نفس المكان ..
صرخت فيه ولأول مرة ..
– هشام .. هل جننت .. آسفة لا أستطيع ..
وبدأ يهددني .. ويبتزني بالصورة التي يملكها .. وقتها فقط عرفت أنه إنسان
نذل .. دنيء لا يعرف من الحب سوى اسمه .. أسقط في يدي ولم أعرف كيف
أتصرف .. فلجأت إلى صديقتي ليلى وأخبرتها بكل شيء .. ولكنها هزت كتفيها
قائلة :
– ولم لا .. قابليه .. فربما هو يريد أن يتزوجك حقاً ..
أذهلني جوابها .. فلم أرد عليها .. ولجأت إلى أمي .. الصدر الحنون.. بكيت

على صدرها ورويت لها كل شيء .. ضمتني بحنان وحب وهي تقول :
- دعيه لي ..
في نفس الليلة حادثت هشام وأمي إلى جواري .. بادرني بلهفة ..
- سعاد .. أخيراً وافقت .. متى أراك ..
تحدثت أمي إليه :
- نحن الذي يشرفنا أن نراك في بيتنا يا أستاذ هشام ..
أغلق السماعة في وجه أمي .. ولم أسمع صوته أبداً بعد ذلك ..
كانت تجربة مريرة في حياتي .. علمتني أشياء كثيرة .. ولكنني خرجت منها أقوى مما كنت .. وأكثر خبرة .. وأفضل بكثير من سعاد الأولى ..
وتمر السنوات وأبتعد عن صديقتي ليلى .. وأنسى كل شيء وكأن شيئاً لم يكن ..
ولكن .. إنه زوجي .. يسألني هذا السؤال في يومي الأول معه .. لن أكذب ..
فإن مافات لايمكن أن يعد حباً حقيقياً فهو لم يمس قلبي إطلاقاً .. كذلك هشام لم يكن رجلاً أبداً .. لذلك فأنا واثقة من نفسي عندما أرد على سؤال زوجي الذي ينتظر الرد على أحر من الجمر ..
نظرت في عينيه مباشرة وأنا أهمس متعثرة بحيائي ..
- أبداً لم يكن في حياتي أي رجل قبلك .. أنت الأول والأخير أيضا ..
ابتسم بسعادة وابتسمت معه ..

« تمـــــت »

عفواً .. إنه خطئي

أنا سأنتحر .. سأقتل نفسي .. وإليكم السبب ..
أنا شاب في الثامنة عشرة من عمري .. في الثانوية العامة .. قوي البنية .. مفتول العضلات من أسرة غنية .. أدرس في أرقى المدارس الخاصة وأغلاها .. لدي سيارة جميلة آخر موديل .. ومن أغلى نوع .. وأذهب كل يوم إلى النادي ألعب الكرة وأركب الخيل .. أي أن حياتي كاملة .. لاشيء ينقصها .. بل قد تفوق حد الكمال ..
كل شاب في الدنيا يتمنى أن يعيش حياتي كما أعيشها أنا وأحياها .. ولكن لا .. لم تعرفوا السبب بعد ..
أنا ضعيف الشخصية .. وإلى أبعد حد .. ضعيف لدرجة أنني لا أستطيع أن آخذ حقي ..
الجميع يستهزئون بي لضعف شخصيتي ولا أستطيع أن أضع حداً لاستهزائهم وسخريتهم .. لأنني ضعيف ضعيف جداً .. وأكثر مما يتصور البعض ..
وسبب ضعفي هي أمي .. نعم هي السبب الأول والأخير رغم حبي لها ..
منذ كنت في الثالثة من عمري وهي تبكي أمامي .. ودائماً تبكي ..ودائماً تشكو أبي .. ودائماً تحكي لي قصتها .. حتى أصبحت في العاشرة من عمري وأنا أحفظ قصتها عن ظهر قلب ..
زوّجها أهلها وهي في الخامسة عشرة من عمرها إلى أبي وهو رجل كبير في السن .. في سن أبيها .. ولديه من النساء ثلاث غيرها .. وكانت تتعذب .. تتعذب بقسوته .. وتتعذب بغيرته .. وتتعذب بغيرتها .. ولم تنجب غيري .. كنت أنا آخر العنقود من أولاد أبي .. وكنت أنا المدلل رغم كثرة أولاد أبي .. فهم كثيرون جداً لا أدري عددهم .. ربما هم خمسة عشر أو أكثر .. لا أدري .. وكلهم متزوجون .. بعضهم آباء .. والبعض الآخر أجداد .. نعم .. أجداد .. ولهم أحفاد في مثل عمري .. وهم لايعرفونني .. وأنا لا أراهم إلا لماماً ولكنني لا أشعر حتى بوجودهم ..
حتى مرض أبي .. مرض مرضاً أقعده الفراش .. وتنقل بين بيوت زوجاته الثلاث ثم استقر في بيت أمي .. اختار بيتنا ليرقد فيه .. فأحسست بالاختناق ..

لم أتعود أن أرى أبي في كل وقت .. كنت أراه بعض الوقت .. أحياناً بالليل .. وأحياناً أخرى بالنهار .. ولكنني الآن أصبحت أراه بالليل والنهار .. أشعر بأنه يجثم على صدري .. يضيق على الخناق .. يعد على خطواتي .. يحسب على أنفاسي ..

كان هذا طبيعيا بالنسبة لي .. ولكن أمي .. أمي يحدث لها ماحدث لي !! غير معقول !! بل مستحيل .. إنه زوجها .. إنها تحبه .. لا .. إني لا أجزم بهذا .. فلم أحاول مرة في حياتي أن أفكر في طبيعة العلاقة بين أبي وأمي .. كنت أعتقد إنها كأي علاقة بين أي زوج وزوجته رغم تعدد زوجات أبي .. كنت أعتقد أنها تحبه كأي زوجة تحب زوجها رغم بكائها الدائم أمامي .. كنت أعتقد بأنها ستطير من شدة الفرح لاختياره لها بالذات دون نسائه الأخريات ليقضي عندها فترة مرضه ونقاهته .. ولكن لا ..

إنها تعيسة مثلي وأكثر .. إنها تغضب لأتفه سبب .. تبكي لأية هفوة .. لا .. إنها لم تكن هكذا .. صحيح إنها كانت دائمة البكاء ولكن ليس إلى هذه الدرجة المأسوية ..

في هذه الفترة كنت أراها دائماً غاضبة .. دائماً حزينة .. ودائماً تبكي .. أكثر من الأول ..

أحوالها تغيرت بدرجة غير معقولة .. لدرجة إنها أصبحت لا تحكي لي قصة حياتها كل يوم كالعادة ..

ومضيت أفكر .. نعم أفكر .. أنا الشاب المدلل الذي لايهتم حتى لدروسه أفكر .. حالة أمي حيرتني .. إنني أعرفها جيداً لذلك لفت نظري تغيرها الشديد وحزنها الأشد .. وعزمت على أن أعرف السبب مهما يكن من أمر .. إنني لم أسألها قط عن مدى علاقتها بأبي .. هل هي تحبه أم تكرهه ؟

هل تعيش معه راضية سعيدة أم هي مكرهة على العيش معه ؟

وفي يوم ما فوجئت بنفسي أسألها هذا السؤال وعيناي معلقتان تماماً بوجهها لأرى رد الفعل لديها .. دهشت .. تفرّجت وجنتاها احمراراً وهي تنظر لي باضطراب .. إنها تبدو كفتاة بريئة تواجه بهذا السؤال لأول مرة في حياتها .. لا كزوجة وأم لشاب وربة بيت .. نظرت إليها مرة أخرى وإذ هي مطرقة برأسها تنظر إلى لاشيء .. أعدت عليها السؤال مرة أخرى .. ولكن ....

وكأنها تحولت إلى إنسانة أخرى .. متوحشة .. ضربتني وطردتني من الحجرة دون أن تجيب على سؤالي .. ومضيت أفكر وأنا أسمع صوت بكائها

ونحيبها .. لماذا لا ترد على سؤالي .. ترى هل أبدو بالنسبة لها طفلاً لا أفهم شيئاً مما يدور حولي ؟ ولكن لا .. سأثبت لها رجولتي .. سأثبت لها أنني أفهم كل شيء وأكثر مما كانت تعتقد ..
ولكن لأول مرة في حياتي بدأت أرى ماحولي على الوجه الصحيح .. لأنني أول مرة أدقق فيما أراه ولا تخدعني المظاهر الكاذبة .. أرقبها هي وأبي وهما يتناولان طعام الغذاء .. إنه يأكل بطريقة سيئة .. وهي تنظر إليه باشمئزاز واحتقار .. لا حديث يدور بينهما .. ولا حتى كلمة واحدة ....
يتجشأ أبي بعد الأكل بطريقة مقززة .. أراها وهي تقاوم الغثيان الذي أصابها .. يقوم إلى الحجرة لينام .. إنه يمشي ببطء وظهره محني إلى الأمام .. إنه كبير في السن .. كبير جداً .. وهي صغيرة إلى جواره وكأنها ابنته .. طويلة .. ممشوقة القوام .. جميلة .. لأول مرة أعرف أن أمي جميلة .. طوال عمري أنظر إلى وجهها ولكنني لم أر جمالها إلا اليوم .. ربما لأنني أردت أن أتفحص كل شيء بعيني الخبير ..
وأحدق فيهما النظر عن بعد .. إنهما لا يناسبان أبداً بعضهما .. أذهلتني هذه الحقيقة رغم أنني كنت أعيش فيها منذ زمن طويل .. ولكنني لم افهمها إلا الآن ..
صدمت بها وكأنني أعرفها لأول مرة .. صدمتني جعلتني أفيق لأشياء أخرى كثيرة تدور حولي إن أمي تتحدث كثيراً في الهاتف بصوت هامس .. ويطول حديثها كثيراً .. وهنا بدأت أشك .. وبدأت أرقبها .. وأكثف عليها المراقبة أكثر وأكثر ويدى على قلبي .. أبحث عن شيء لا أريد أن أعرفه .....
أبحث عن المجهول الذي يخيفني .. أبحث عن المارد الذي يسكن أعماقي ويزلزلني ..
رأيتها تخرج كثيراً ولم أتبعها في كل مرة .. كنت أخاف أن اكتشف شيئاً لا أريد أن أكتشفه كنت أخاف أن أرى شيئا لا أريد أن أراه .. تصورت كل شيء بعين خيالي .. شابة جميلة .. وحيدة ..
حزينة .. و .. وهناك آخر .. لابد أن هناك آخر .. والنهاية معروفة بالطبع .. بالتأكيد هذا ما يحدث .. ولكنني جبان .. ضعيف .. أضعف من أن أراقبها حتى النهاية وأضعف من النهاية نفسها .. لذلك لجأت إلى أبي ..
حاولت أن أفهمه ما يدور حوله بطريقة غير مباشرة ..
دخلت عليه حجرته .. فوجيء بي .. فنظر إلى متسائلاً دون أن يتكلم ..

إنه يعتقد أنني أتيت إليه أريد نقودا .. أو أن سيارتي معطلة .. أو إنني أريد أن أغير مدرستي ..
نعم .. هو معذور في تفكيره هذا .. فلم نجلس يوما أنا وهو لنتحدث سويا كما يتحدث أي أب مع ابنه .. أبدا .. إنني لا أعرفه إلا إذا احتجت لشيء .. ونادرا ما أحتاج .. ونادرا ما أراه .. إنه لا يعلم أنني أريد أن أنقذه .. أن أنقذ شرف العائلة الذي ألقته أمي في الأوحال .. لم أتردد .. ولم أتلعثم وأنا أقول له :
- أبي .. هل تحب أمي ؟
ذهل في بادىء الأمر .. ثم نظر إلى نظرة صاعقة .. وكأنني قلت شيئا حراما .. وكأنني كفرت بالدين .. بل كأنني كفرت بالأديان السماوية جميعها .. ولم يفعل أكثر من أن بصق في وجهي وطردني من الحجرة وهو يردد بصوت مرتعش :
- ولد فاسد .. أفسدته بتدليلها .. إنه لايصلح لشيء ..
وصدمت .. هذا الأب المتخلف بعقليته الرجعية .. إنه لن يفهم .. لن يفهم أبدا .. حتى ولو أمضيت الدهر كله أحاول أن افهمه .. إن المرأة برأيه ليست إنسانا يحس ويشعر ويفكر ويحب ويكره .. إنه لايفهم شيئا أبدا ..
وفكرت .. فكرت كثيرا .. وأخيرا قررت .. قررت أن أراقب أمي بدقة .. وساتحمل نتيجة قراري مهما كانت .. ومهما كان الأمر .. وفعلا بدات التنفيذ .. فبدأت أتغيب عن المدرسة لأراقبها ولكنها لم تخرج .. لا في اليوم الأول ولا الثاني .. ولا الثالث .. ومضى أسبوع وأنا على هذه الحالة وغضبي منها يشتد .. لم لا تخرج وتريحني ؟ كنت أخاف أن تكشف المدرسة غيابي عن بعض الحصص فيكون نصيبي العقاب الشديد ..
ولكنها خرجت .. نعم خرجت في اليوم التاسع من مراقبتي لها .. ركبت مع السائق .. فتابعته بسيارتي .. وأخذت أدقق بشدة حتى لايراني سائقنا وأنا أتبعه .. وأخذت أسبه وألعنه في سري .. هذا السائق الملعون لابد أنه متواطيء معها .. ولا أستبعد أن يكون هو رجلها المنشود .. ولكن لا إن أمي لاتتنازل إلى هذه الدرجة .. إنها أرقى من ذلك بكثير .. لابد أن يكون من اختارته رجلاً مرموقاً بمعنى الكلمة .. وجززت على أسناني وأنا أتخيله .. فشددت عضلاتي بقوة وأنا أهمس لنفسي :
- سأحطم ضلوعه .. سأغرز أنفه في الأرض .. بل سأقتله ..
ولكن يالدهشتي .. لم أر أحدا .. لم أر أي كائن .. رأيتها تدخل إلى مبنى البنك

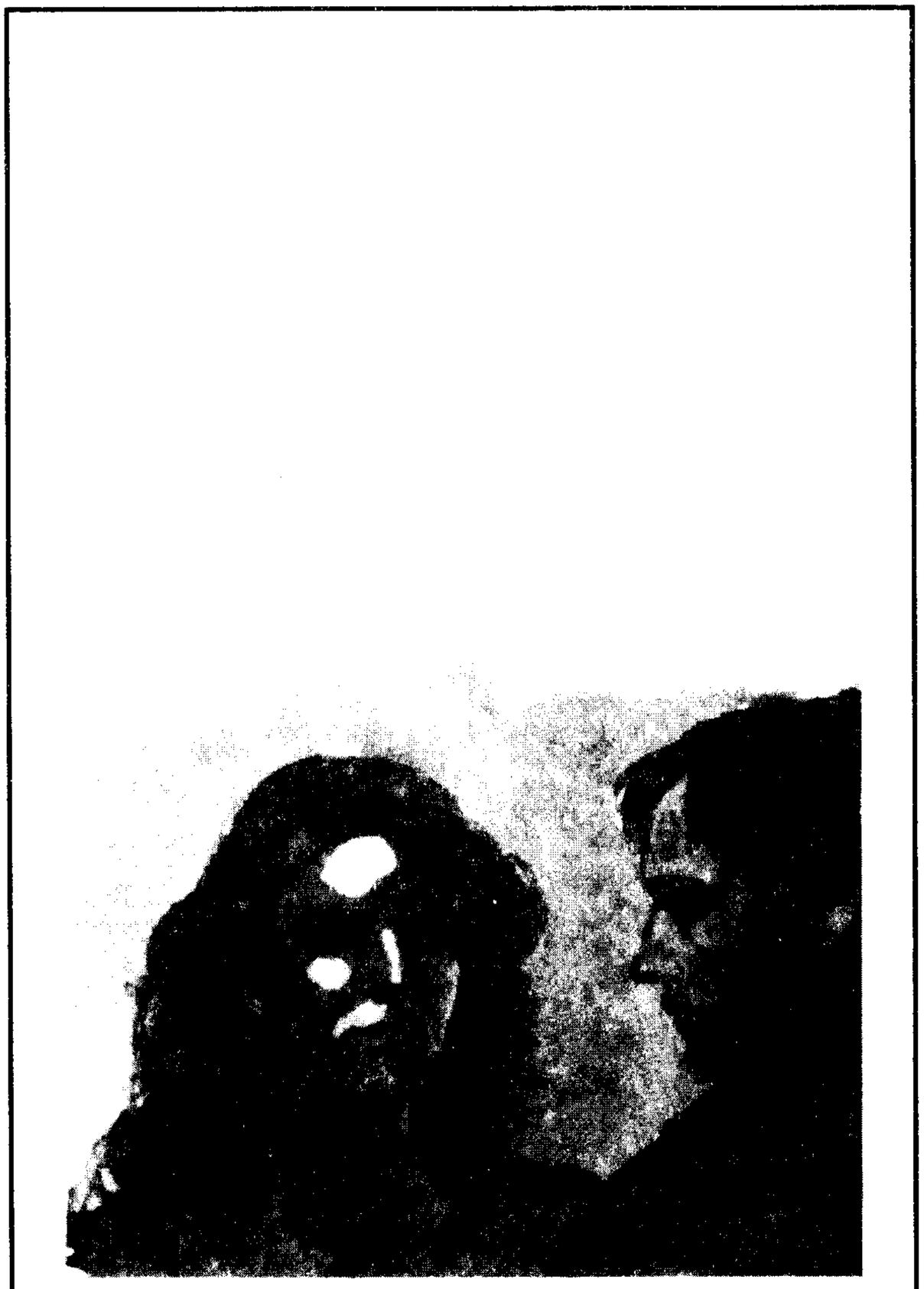

وخرجت بعد فترة .. ثم توجهت إلى مبنى إحدى السفارات .. والدهشة تأخذ مني كل مأخذ .. ويالعجبي .. لقد تكرر نفس المشوار بعد أيام قليلة .. وبعد عدة أيام أخرى رأيتها مع السائق يتوجهان إلى مكتب الطيران .. وذهولي يشتد وحيرتي تزداد .. لايوجد في حياتها رجل على الإطلاق .. إذاً ما معنى هذا ؟ البنك والسفارة ومكتب الطيران .. بل ما معنى تصرفاتها الحزينة ودموعها الكثيرة .. ومكالماتها الهاتفية الهامسة .. ترى هل تنوي أن تسافر وتتركني .. ولم أواجهها أبدا بما أعرفه .. ولم أسألها .. فلابد أنها ستثور وتغضب وربما تعدل خطتها فلا أعرف منها شيئاً .. فقررت أمرا جديدا .. قررت أن أتصنت على مكالماتها الهاتفية لعلني أعرف منها مالم أعرفه من مراقبتي لها في الشارع .. وفعلا عرفت كل شيء ..

عرفت إنني إنسان حقير .. ضعيف .. نذل .. سافل .. لا يقدر المعروف .. عرفت أن أمي الحبيبة كانت تعد لي المفاجأة التي طالما حلمت بها في صحوي ومنامي .. أمنية عمري ....

كانت تحضر لي هدية نجاحي .. وهي سفري إلى الخارج لإتمام تعليمي هناك .. كانت تعرف بأن هذا الأمر كفيل بإسعادي رغم تعاستها هي لفراقي .. لذلك كانت تتحرك بأسرع مايمكن ليكون توقيت المفاجأة مع موعد نجاحي .. سمعت هذا من حديثها الهامس مع خالتي على الهاتف .. كانت لاتريدني أن أعرف لتكتمل لي المفاجأة السارة .. وكرهت نفسي .. كرهت نفسي بقدر ما أحببتها هي .. بقدر ما ظلمتها إنها أشرف وأطهر إنسانة على وجه الأرض .. ترى أي شيطان دفع إلى بكل هذه الأوهام عن أمي الحبيبة لذلك فأنا أستحق القتل .. بل وأكثر من هذا .. إن ما فعلته بها من سوء الظن يعد جريمة يعاقب عليها القانون .. وقانوني يبيح القتل .. لذلك سأنتحر لأكفر عن ذنبي تجاهها .. ولكنني لن أسعدها إذا انتحرت بل ستموت غما وحزنا علي .. إذن سأحاول أن أنسى .. وسأحاول أن أكفر عن خطئي في حقها .. وعفوا .. عفوا أمي الحبيبة ..

« تمـــــت »

دمـــوع الفـــرح

الأشياء تختلط أمام ناظري .. الجماد يتراقص أمام عيني على دقات الدفوف .. كل شيء يتراقص حتى خيالي .. عيناي تمتلئان بالدموع .. كلا..كلا.. هذا ما أخشاه ، هذا ما حاولت أن أمنع حدوثه طوال اليوم .. يجب ألا تظهر هذه الدموع .. يجب أن أخفيها بأي طريقة .. أنها شيء منكر .. بل شيء مريب أن تبكي عروس ليلة زفافها ..المفروض إنها تحب عريسها وقبلته عن اقتناع تام .. بل عن قصة حب رائعة ولكن لا ..

دموعي تتسابق دون أن أستطيع منعها .. ومضيت أنشج وأنتحب بكل يأس .. بكل خلجة من خلجات نفسي

وفجأة توقف كل شيء على صدى بكائي .. توقفت دقات الطبول العنيفة .. توقف الرقص والغناء .. توقف الناس .. توقف كل شيء .. حتى دموعي ..

التفت حولي مجموعة من النسوة لا أستطيع تمييزهن .. إحداهن تسليني والأخرى تمسح دمعي .. وثانية تعزي سبب بكائي إلى الخوف الذي يصاحب كل عروس ليلة زفافها .. مساكين هن .. أبتسم بسخرية إنهن لايعرفن شيئا وأي شيء مما يدور في خيالي البائس .. تعود بي الذاكرة خمسة عشر عاما إلى الوراء كنت هنا على نفس هذا المقعد .. صبية صغيرة غريرة في السادسة عشرة من عمري وعروس للمرة الأولى في حياتي .. أنظر إلى عريسي بخجل وأبتسم له بحياء .. كان كل شيء حولي يزغرد فرحا وحبورا .. كانت الدنيا كبيرة في نظري .. كبيرة جداً أكبر من أن تسع بين جوانبها شيئاً اسمه الغش والخداع .. كانت الدنيا من حولي جميلة كصباي الغض مليئة بالورود والرياحين والأزهار الندية .. رغم إنني كنت أعلم مسبقا بأن عريسي هذا سبق له الزواج قبل هذه المرة وفشل في كلتا الزيجتين بسبب عقمه .. وأعلم أيضا بأن عقد زواجي يشتمل على أقسى شرط يمكن أن يكون بين زوجين .. وهو إذا لم أنجب منه خلال أربعة أعوام من زواجنا يكون الطلاق مصيري .. هذا هو الشرط الذي اشترطه أهلي على زوجي ووافق هو على هذا الشرط القاسي .. وافق مضطرا وأمله أن ننجب طفلاً يملأ علينا حياتنا سعادة وحبورا ..

تزوجته .. تسبقني إليه أحلامي الوردية وطفولتي الندية .. وأحببته .. أحببته

حتى النخاع .. كان يمثل لي كل شيء في حياتي ، الأب والأم والأخ والحبيب والزوج .. أحببته حبي للحياة فكان أول وآخر حب في حياتي .. لا أنكر شعوره نحوي .. كان يبادلني حبي بحب أقوى منه .. أحبني أكثر من الحياة وأحببته أكثر من نفسي .. ومضت سنوات زواجنا الأولى كالحلم الجميل الذي لا أريد أن أفيق منه أبدا .. وكان أهلي دائما يتساءلون عمّا إذا كان هناك حمل من عدمه .. ولكنني كنت في عالم آخر بعيداً عن أسئلتهم

كنت أعيش عالم خاص مع زوجي حبيبي .. فلم نشعر في أي يوم من الأيام بأن شيئا ما ينقصنا رغم أنني لم أحمل منه .. كان حبنا يغنينا عن أي شيء في الدنيا حتى ولو كان هذا الشيء هو الأطفال .

ولكن في يوم ما أفقنا من حبنا وأحلامنا على كابوس رهيب .. هزني حتى الأعماق ..

اجتمعت عائلتي وجميع أهلي في بيتنا .. بل في جنتنا الصغيرة أنا وزوجي .. وأبلغونا بأن أربع سنوات مضت على زواجنا .. تبادلت النظر وزوجي بدهشة واستغراب فلم نشعر أبدا بأن كل هذه السنوات مرت ونحن معا .. كنا نحسب الساعات بالدقائق والسنوات بالساعات ولم نحسب إلا ساعات مرت على زواجنا ..

أفقنا من الصدمة على صوت أبي الجهوري وهو يقول :

- اسمع يابني يا ماجد لقد مرت الآن أربع سنوات من زواجك من ابنتي وإلى الآن لم يحدث أي حمل ولابد أنك لازلت تتذكر الشرط المذكور في عقد الزواج ..

التقت نظراتنا أنا وزوجي .. نظراتي الفزعة الصارخة بنظراته الخائفة القلقة ..

فقال أبي بعد فترة صمت :

- لا تغضب ياماجد .. الحق حق .. ونحن لانريد أن نضيع حق ابنتنا في أن يكون لها طفل

هذا ظلم ..

طفرت دمعة من عين زوجي وحبيبي وهو يقول :

- ها هي ابنتك أمامك فاسألها .. فإذا كانت تريد أن أطلقها فسأفعل حالاً فأنا لا أريد أن أظلمها معي .

صرخت بقوة وأنا أقول :

- لا .. لا .. لا أريد أطفالاً .. لا أريد شيئا .. أرجوكم جميعاً اتركونا أنا

وزوجي .. لا نريد منكم شيئا ..
ومضيت أنتحب بشدة وظلال اليأس تخيم بظلامها على حياتي .. انتحت بي أمي جانبا ونصحتني بكل العقل والمنطق بأن الحب شيء والأمومة شيء آخر .. وأن كلاهما لايغني عن الآخر .. وأفهمتني بأنني سأندم أشد الندم على تفريطي بحقي في الحياة .. ولكنني كنت جاهلة .. كنت غريرة .. كنت طفلة لم أفكر في أي شيء غير حبي له وحبه لي .. كنت أرتعب من مجرد التفكير بأنني زوجة لرجل آخر غيره
كنت أحبه بكل أعماقي .. بكل وجداني .. بكل إحساسي في الحياة .. هو زوجي وطفلي ولا أريد طفلا غيره ..
خرج أهلي بعد أن يئسوا من إقناعي .. عنفني أبي بكل ما في القاموس من كلمات التأنيب .. بكت أمي وهي تدعو الله بأن يهديني إلى التفكير السليم .. ربت أخي على كتفي وهو يطلب مني إعادة التفكير .. ولكن لا .. وأي تفكير وأي كلام هذا الذي يهذون به .. أبدا لن أتخلى عن زوجي وحبيبي ولو كان الثمن هو حرماني من الأطفال ..
تساقطت الدموع من عيني وبكى هو الآخر أمامي .. وامتزجت دموعنا بخليط من الحب واليأس المر ..
ومرت الأيام يائسة كئيبة وأنا أتحداهم جميعا .. اتحداهم بحبي وأملي الذي لايخالطه يأس .. بدأت أفكر بالإنجاب بعدما كنت لا أفكر فيه بتاتا .. نظراتهم الحزينة التي يرمقونني بها جعلتني أتحرك وأبحث وأتردد على الأطباء لعل وعسى .. عملت عشرات التحليلات .. وتناولت شتى أنواع الأدوية .. ودرت على جميع المشعوذات ومدعيات الطب .. ولكنني أبدا لم أحصل على شيء ..
كنت أعود كل يوم من جولتي خائبة ذليلة واليأس يلتهم ما تبقى من أمل لدي ..
ومرت الأشهر والسنوات ونسيت هذا الأمر أو ربما تناسيته .. كنت أتحاشى نظرات أهلي وهي تقطر بالحسرة والمرارة .. كنت أحاول أن أثبت لهم بأنني سعيدة .. وإنني أسعد إنسانة على وجه الأرض بدون أطفال .. ولكنني كنت أعمل المستحيل فما أن أرى طفل إحدى أخواتي حتى يدق قلبي بقوة .. أشعر معها بأنه يكاد يخرج من صدري .. وتمتليء نفسي بالحسرة والألم أبدا لم أكن نادمة .. كلا .. مستحيل فحب زوجي لي يمحو عني أي إحساس آخر غير إحساس حبي الشديد له .. ولكنه شعور بالحنين يطغى على تفكيري .. الحنين بأن يكون لي طفل من زوجي .. كما أن نظرات الأخريات تقتلني .. تغتالني

في كل لحظة فما أن تراني إحداهن حتى تسرع بإخفاء طفلها الصغير .. والأخرى تشكو لي من متاعب الأطفال وعذابهم .. إنهن لايفهمن .. لايعرفن ما بي .. لايدركن أبداً إحساسي وبأنني أعيش أحلى قصة حب مع زوجي الذي أصبح يملك على جميع إحساساتي .. ومع مرور الزمن تضاءل أي أمل لي في الإنجاب بل لم أعد أفكر فيه بتاتاً .. ولم أكن أسمح لأي كائن بأن يذكرني به .. حتى أمي أعز الناس لدي كنت أسكتها مع أول كلمة وأطلب منها أن تغير موضوع الحديث .. وفي أحد أيامنا السعيدة فوجئت بزوجي يدخل على حزينا بائساً .. جزع قلبي وتخاذلت أطرافي وأنا أراه على هذه الصورة المحزنة .. ولكنه بدد أحزاني حينما أخبرني بأن الأمر بسيط وإنه مجرد عجز صغير في خزينة الشركة التي يملكها .. قفزت من فوري وأحضرت له جميع ما أملك من الذهب وطلبت منه أن يتصرف فيه وقلت له بالحرف الواحد :

- أنا والذهب وكل شيء ملك لك .. فليس لي أحد غيرك ..

فرد بسرعة والغضب الحزين يشتعل في عينيه :

- لا أرجوك يا سلمى . خذي مجوهراتك هذه فلست في حاجة إليها ..

فصرخت فيه فزعة :

- ماجد .. ماذا جرى .. ألسنا روحين لجسد واحد .. إذا لم أعاونك فمتى أعاونك ..

وكلمة مني وعشره منه أقنعته في النهاية .. ولن أنسى أبداً كلماته التي تلت هذا :

- إنني لا أدري كيف أرد معروفك هذا .. ولكن ثقي يا حبيبتي بأنني سأعوضك عن مجوهراتك هذه الضعف بل الضعفين وبت ليلتي تلك كأسعد ما أكون .. فقد مدتني التضحية بإحساس غامر لم أشعر له مثيلاً من قبل ..

أحسست أنها وقد وثقت من رباط حبنا لبعضنا أكثر مما يستطيع عشرة أطفال أن يفعلوه برباط الزوجية والحب المتين ..

وازدهرت تجارة زوجي واسترد اسمه في السوق فبدأ يكثر من السفر للخارج لإنجاز أعماله الكثيرة ولاستقدام العمال .. وكنت أودعه بنفسي راضية وأستقبله بسعادة وشوق لامثيل لهما .. ولم أشعر أبداً بتغيره .. بل لم أحس يوماً بنقصان حبه ..

وفي يوم ما .. في يوم مشئوم كأحلامي .. كنت قد حلمت يومها بأن غراباً كبيرا يدخل بيني وبين زوجي ويفرق بيننا بقسوة لا مثيل لها .. صحوت من نومي وأنا ألهث من شدة الفزع .. فقد كان زوجي مسافراً كالعادة .. فخشيت أن يكون قد

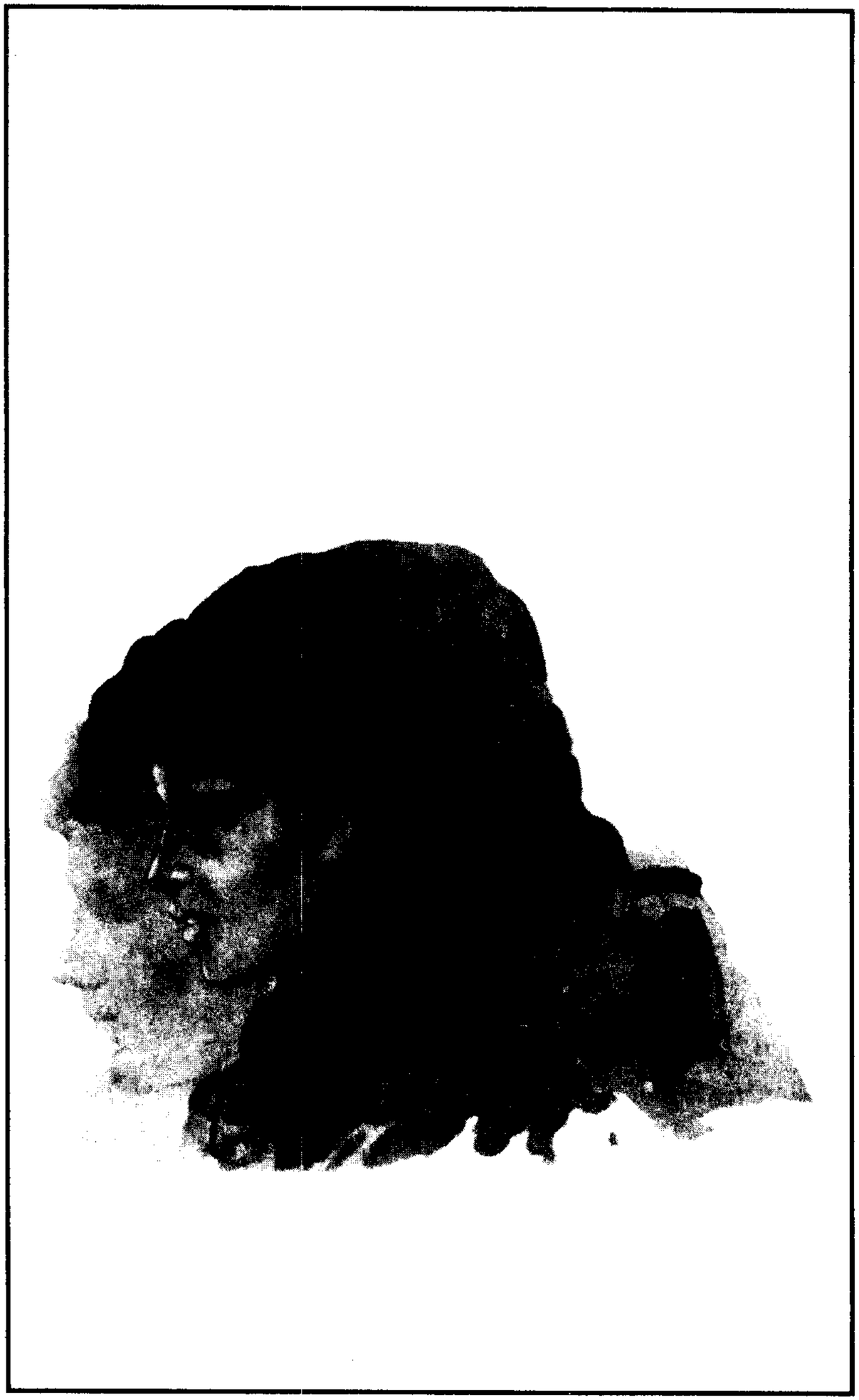

أصابه سوء .. خصوصا وأنه قد تأخر هذه المرة على غير عادته ..
فأمضيت يومي في حزن وغم لا مثيل لهما وأنا أفكر .. ولكن ..
في نفس اليوم هاتفني كعادته كلما عاد من السفر ..
صرخت فرحة بسلامته .. ولكنني لمست الاضطراب في صوته والارتباك الشديد في كلماته .. فسألته فزعة وقد بدأ حلمي يراودني :
- ماجد .. مابك ..
أجابني بصوت مرتجف :
- لاشيء .. ولكن أريد أن أقول لك شيئاً .. وأرجوك أن تتقبليه بسهولة ..
خرج صوتي مخنوقاً .. خائفاً وأنا أقول :
- هل حدث شيء يا ماجد ؟
ولكنه .. قتلني .. اغتالني في لحظة عندما قال :
- سلمى .. أنا تزوجت .. تزوجت هندية ..
بعدها لم أشعر بشيء .. تلاشى إحساسي بالدنيا وسقطت مغمى علي ..
وبعد فترة لا أدري كم طالت أفقت على صوت أمي تسألني .. ما الخبر .. إذن هي لا تعلم وماذا أقول لها .. بل كيف أواجه العالم بأجمعه .. ماذا أقول .. ضحيت من أجله بالكثير الكثير وأخيراً وبعد خمسة عشر عاماً من الزواج يلفظني كالنفايات .. كالبقايا .. النذل .. الحقير .. إن هذه الكلمات أقل من الوصف إنها لاتفيه حقه .. إنه أكثر من ذلك .. إنه مجرم .. نعم مجرم .. لقد امتص سنوات شبابي ورحيق عمري .. وضحيت من أجله بأكبر حلم في حياتي .. تخليت عن حقي بأن أصبح أماً لطفل .. واكتفيت بحبه الذي تبين لي بأنه مكر وخداع خدرني به ليسلب أجمل أيام حياتي ...
إنه يستحق أكثر من القتل .. وأكبر من الإعدام .. إن ما فعله بي لهو أكبر جريمة تستحق أقصى عقاب
دموعي لا تتوقف وأنا أتأمل شريط حياتي السابقة معه وأجد بأنني لم أقترف أي ذنب .. ولم أخطىء في حقه في يوم ما .. ولم أغضب منه مهما فعل .. أشعر بقلبي يحترق داخل أضلعي .. وروحي تئن من وطأة الجرح العميق الذي أصابها في الصميم .. وهو النذل الجبان لم يفكر حتى أن يتصل مرة أخرى ..
وفي دوامة القلق والعذاب والحيرة أخبرت أمي بما حدث .. وتولت هي إخبار الجميع بالخبر المؤسف التفوا حولي في منظر محزن مهيب .. لم يتفوه أي منهم بأية كلمة .. ولكن عيونهم كانت تحكي كل شيء .. عيونهم تلهبني بسياط الألم

والندم .. ألم نقل لك .. ألم ننصحك قبل ذبول زهرة عمرك .. ألم نفهمك إن تضحياتك كلها ستذهب سدى .. لا .. صرختها من أعمق أعماق قلبي .. لا .. لست نادمة .. لم أندم أبدا على عمر ضيعته معه .. لم أبك أبدا موت حب رائع كالأساطير .. لم أندم .. أبدا لم أندم .. إن كل دقيقة ذهبت من عمري استمتعت بها .. إن أيامي التي مضت هي من أحلى أيام عمري وقد عشتها يوما بيوم فلماذا أندم عليها .. إن ما أحزنني وأبكاني ليس هو عمري الذي ضاع .. بل هو خداعه لي ..

لماذا لم يقل لي .. لماذا لم يخبرني .. ربما كنت قد تقبلت الحقيقة كما هي .. ولكن أن يخدعني ويكذب على لا .. وألف لا ..

وفي لحظة جنون ذهبت إليه .. نعم ذهبت إليه في منزلنا .. عش حبنا في الماضي .. استقبلني بخوف ورهبة .. رأيتها .. نعم إنها هناك .. صدمني ذوقه واختياره .. إنها لا تزيد عن أن تكون خادمة لي

أدهشني برود أعصابي الشديد .. لم أتوقع أن أقابله على هذه الصورة الباهتة .. عجبا .. وكأن خداعه لي قد قتل كل ذرة حب أكنها له في قلبي ..

طلبت منه الطلاق بروح متماسكة وأعصاب من حديد .. رأيت نظرات الذهول تشتد في عينيه القلقتين وقد أدهشتهما زيارتي غير المتوقعة .. لم يرد بكلمة واحدة .. استدرت خارجة بعد أن جمعت حاجياتي

حاول أن يستبقيني .. أبعدته بنظرة صاعقة .. خرجت من عنده إنسانة أخرى لا أعرفها .. إنسانة منطلقة مرحة .. تحب الحياة وتحب الناس .. لا .. إنه لم يحطمني أبدا .

وخلال عدة أشهر تقدم لي شاب من النظرة الأولى أحسست بأنني سأعيش العمر كله سعيدة إلى جواره وأحببته .. نعم لقد أحببته .. لا تستغربون فإن زوجي السابق أبدا لم يقتل الحب في داخلي .. ولن يستطيع .. أحببت خالدا .. ولكنه حب هادىء عاقل متزن لا أثر فيه لجموح العاطفة .. وأحبني هو كذلك .. ولم يسألني يوما عن حياتي السابقة .. اكتفى بأن قال لي :

- كل منا له ماضي .. ولنحاول أن ننسى الماضي ونبدأ صفحة جديدة كلها حب وسعادة ومودة ..

وازداد حبه في قلبي مع كلماته تلك .. ونسيت أيامي الماضية أو كدت أنساها .. ولكن ..

ماهذه الدموع التي تسيل على وجنتي ليلة زفافي ؟ ليلة فرحي مع خالد ..

الإنسان الذي أحببته ورغبت بأن أكون أما لأولاده .. لا .. إنها ليست دموع حزن .. إنها دموع الفرح والسعادة ..

« تمـــــــت »

أشـــباح من الماضـــي

أنا امرأة عجوز .. لست عجوزاً جداً .. ولكنني في الثانية والستين من عمري .. أي تخطيت مرحلة الشباب منذ فترة طويلة .. ولكنني لست كأية امرأة أخرى لها بيت وزوج وأولاد .. أنا لا أملك أي شيء من هذا ..

لا زوج

ولا بيت

ولا أولاد

كل ذلك بسبب امرأة .. نعم امرأة واحدة أفقدتني حقي في أن أعيش كأي امرأة أخرى في هذا العالم الواسع .. امرأة واحدة حطمتني وجعلتني أعيش على أنقاض الحياة .. أنا الآن وحيدة .. يائسة .. بين جدران أربعة لست أملكها .. ولا أملك حتى نفسي ..

★ ★ ★

في السادسة من عمري توفيت أمي .. لم أكن أعرف وقتها ما هو الموت .. وكيف يموت الإنسان وإلى أين يذهب بعد ذلك .. كل ما كنت أعرفه آنذاك أن شيئاً كبيراً يملأ حياتي قد ذهب .. أين ؟ لا أدري ...

كنت أشعر بأن جدراناً كبيرة أعيش داخلها قد سقطت ، وأصبحت عارية أمام الناس .. لاشيء يسترني ...

حتى ولا ورقة توت .. اختفى من حياتي صدر الحنان .. دموعي لا أحد يمسحها حتى ولا أبي .. كنت وقتها صغيرة جداً ولكنني أعي كل شيء .. أعرف أن الأم لا يعوضها أي شيء في الدنيا .. كنت أستيقظ من النوم تائهة أبحث عنها لعلني أجدها .. أبحث عنها في كل حجرات البيت .. وأرى في حجرتها ثيابها ملقاة في كل مكان .. وأضم أحد أثوابها وأنا أبكي وأبكي وأبكي .. انتظرت حتى تعود ويئست من الانتظار أخذني أبي لأعيش مع جدتي لأمي لفترة مؤقتة .. ضمتني جدتي وهي تبكي بحرقة ووجدت نفسي أتجاوب مع دموعها وأبكي معها ..

عند جدتي بدأت أنسى شيئاً فشيئاً غياب أمي .. فقد أغدقت على من عطفها

الكثير حتى بدأت أعتاد غياب أمي .. كانت الفترة التي قضيتها عند جدتي من أجمل أيام حياتي إلى أن تزوج أبي وجاء ليأخذني .. إنني أحب أبي ولكنني رفضت الذهاب معه .. فأخذ يقنعني تارة بالحب وتارة أخرى بالحلوى .. وبكل شيء حاول إقناعي فذهبت معه وأنا مترددة .. وحزينة ..
كنت أحب جدتي كثيراً وحزينة لفراقها ..
تقابلت لأول مرة مع زوجة أبي .. كانت جميلة .. بل جميلة جداً .. ذلك الجمال الباهر الذي يخطف الأبصار ويسلب العقول .. استقبلتني ببرود شديد .. لم تتكلف ولم تجامل حتى ولا من أجل أبي ..
وعرفت بعد أيام قليلة من وجودي معهما أنها مسيطرة على أبي سيطرة تامة .. فلا رأي له ولا حتى وجود
كان أضعف من أن يقول رأيه .. وأقل من أن يفرض وجوده ..
صدمتني شخصية أبي .. وكانت ثاني صدمة لي في حياتي بعد موت أمي ..
وعرفت بعد ذلك أن زوجة أبي هي التي رغبت في وجودي معهما لا هو ..
وعرفت أيضاً لماذا أرادت هي ذلك ؟ لقد جعلت مني خادمة لها وأنا لا أزال طفلة ..
كنت أصحو من النوم في الصباح الباكر لأكنس وأمسح وأطبخ وأعمل كل شيء في البيت .. لدرجة أنني كنت أمشط لها شعرها .. وكانت تكرهني .. نعم كانت تكرهني بشدة .. لم تدع تهمة في الأرض إلا وألصقتها بي .. وكانت تضربني .. وأبي واقف يتفرج ولا يحرك ساكناً .. وكنت أكرهه .. أكرهه بشدة .. أكرهه أكثر منها .. على الأقل هي لا تنافق ولا تجامل .. ثم إنها ليست أمي .. ولم أتعلم مثل بقية البنات
رفضت هي أن أدخل مدارس بحجة أن المدارس تفسد الفتيات .. وبقيت في البيت أكنس وأمسح وأطبخ وأمشط شعرها ..

★ ★ ★

وبلغت السادسة عشرة من عمري وأنا كما أنا .. لا أعرف من الحياة إلا أعمال البيت ولا شيء غيرها ....
لاشيء أبداً .. وأحببت .. نعم أنا الضعيفة البائسة أحب .. وأحب من ؟ شقيق زوجة أبي .. نعم هو بشحمه ولحمه ولا أحد غيره .. كان أول من تفتحت عليه

عيناي .. ولم أر سواه .. كان هو أملي في الحياة .. وأي أمل وسط حياة اليأس التي أعيش فيها .. كنت أحبه لأنه الوحيد الذي كان يشفق على .. كان أرحم على من أبي .. كان يجادل أخته .. ويتشاجر معها بسببي .. كنت أسمعه بأذني وهو يصرخ فيها قائلاً :

– حرام عليك هذا الذي تفعلينه بحق هذه المسكينة .. إتق الله في نفسك .. ربما قد حرمك الله نعمة الإنجاب بسبب هذا ..

وفعلاً كانت زوجة أبي عقيماً لا تنجب .. لم تترك طبيباً إلا وزارته .. ولم تدع مشعوذاً إلا وذهبت إليه .. وكنت أحمد الله في سري على هذا .. فإذا كانت تعاملني هكذا وهي عقيم .. إذن ماذا كانت ستفعل لو كان لديها أطفال .. ستقتلني بالتأكيد ..

وكان « سلمان » شقيقها لا يفتأ يحاول أن يحميني منها .. ويتشاجر معها من أجلي .. وأنا أحبه أكثر وأكثر وأكثر حتى ملأ على كل دنياي .. وأصبح هو كل عالمي .. ثم طلبني للزواج .. إذن هو يحبني مثلما أنا أحبه .. ولكنها رفضت بقسوة .. لم يخبرني أحد بهذا ولكنني سمعته يقول لها :

– إنني أريد أن أتزوج ليلى يا أختي .. ماذا تقولين ..

فأجابته بحدة :

– لا .. مستحيل .. إنها لاتصلح لك أبدا ..

وكان صوته لايزال هادئا وهو يقول :

– ولكنها جميلة ومؤدبة ولايعيبها شيء .. ثم أنا أشعر بالود تجاهها ..

فصرخت بوجهه بقوة :

– كلا .. إنها لاتليق بك .. أنت شاب متعلم ومثقف وتستحق فتاة متعلمة مثلك .. لا جاهلة وحمقاء مثل هذه .. سأخطب لك أماني بنت عبد الله حسن التاجر المشهور .. إنك تعرفها .. ولم أستمع لبقية الحوار .. لقد كنت أبكي .. نعم أبكي حبي الذي خنقته زوجة أبي في مهده .. أبكي على الذي ضاع .. ونور حياتي الذي انطفأ .. فلم يعد لي نور غيره .. وامتلأ قلبي بالحقد .... بالحقد الشديد عليها .. لا .. ليس عليها فقط بل إنني أحقد أيضا على أبي لضعفه واستسلامه .. إنه حتى لم يستطيع أن يدخلني أي مدرسة لأصبح متعلمة أشرف أي رجل يتزوجني .. إنني أكره أبي .. فلولاه لكنت الآن متعلمة ولن تجد زوجة أبي في أي عيب .. لترفضني زوجة لأخيها .. وكبر الحقد في قلبي وأنا أرى حبيبي عريسا ..

نعم لقد تزوج بمن رشحتها أخته له .. وحضرت حفل الزفاف وقلبي يحترق أسى ولوعة .. إن زوجته ليست جميلة .. إنني أجمل منها بكثير ولكنها مثقفة وأنا ينقصني التعليم والثقافة ..
وفي تلك الليلة بكيت كثيراً .. والحقد يكبر في قلبي مع كل دمعة أذرفها .. لولاها .. لولا زوجة أبي لكنت الآن عروساً له .. لسلمان ..
وتمر الأيام وأنا وهي نعيش معاً في بيت واحد .. ولكنني بدأت أشعر بأنني أقوى منها .. أقوى منها بحقدي عليها .. فالحقد طاقة هائلة ..به يمكنني عمل أي شيء .. أي عمل ينفس طاقة الحقد المكبوتة داخلي ..
وحانت اللحظة المناسبة .. واتتني الفرصة العظيمة لأنتقم منها وأنفث فيها حقدي الدفين ..
لقد مرضت .. مرضت مرضاً طويلاً .. لا تقوم فيه ولا تقعد .. تلزم الفراش طوال اليوم ولا تتحرك منه
أحضر لها الطعام والشراب .. وأطعمها بيدي الاثنين .. أساعدها على قضاء حاجتها بنفسي .. ولكنها لاتزال تكرهني .. وأنا لا أزال أحقد عليها ..
إنها تسلط لسانها البغيض علي حين لايعجبها الطعام .. وتنهرني بعنف حين اتاخر في إجابة طلبها ....
يا الله .. يالهذه المرأة .. إنها قوية رغم عجزها ومرضها .. ولكنني أقوى منها .. أقوى منها بشبابي .. بقوتي .. بصحتي .. لماذا لا أرتاح منها .. نعم لقد بدأت تسيطر على تفكيري فكرة التخلص منها .. ولم لا .. إنها لاتزال عقبة في طريق سعادتي .. حرمتني من أبي الذي لايزال حتى الآن رهن إشارة من يدها .. وحرمتني من حبي الوحيد الذي أشعر بأنه ليس سعيداً مع زوجته ويكثر من الشكوى أمام أخته وأنا أسمع وأسكت ..
وفي صباح أحد الأيام دسست قطرات من سم الفئران إلى الحليب الذي تعودت أن تشربه كل صباح .. وعدت إلى فراشي وأنا أرتعد وبدني كله يهتز بشدة ..
وفي التاسعة صباحاً سمعت صوتها يناديني .. إنها تصرخ كعادتها كلما أرادت أن تطلبني وأيضاً تسب وتلعن .. لا تهتم لأبي .. وهو صامت إلى جوارها لايتكلم ..
طلبت مني أن أحضر لها الإفطار .. وأسرعت وأنا أخشى السقوط لفرط خوفي واهتزازي ..
وضعت الأفطار أمامها وجلست بعيداً كعادتي .. كنت أحرص على ألا ألفت

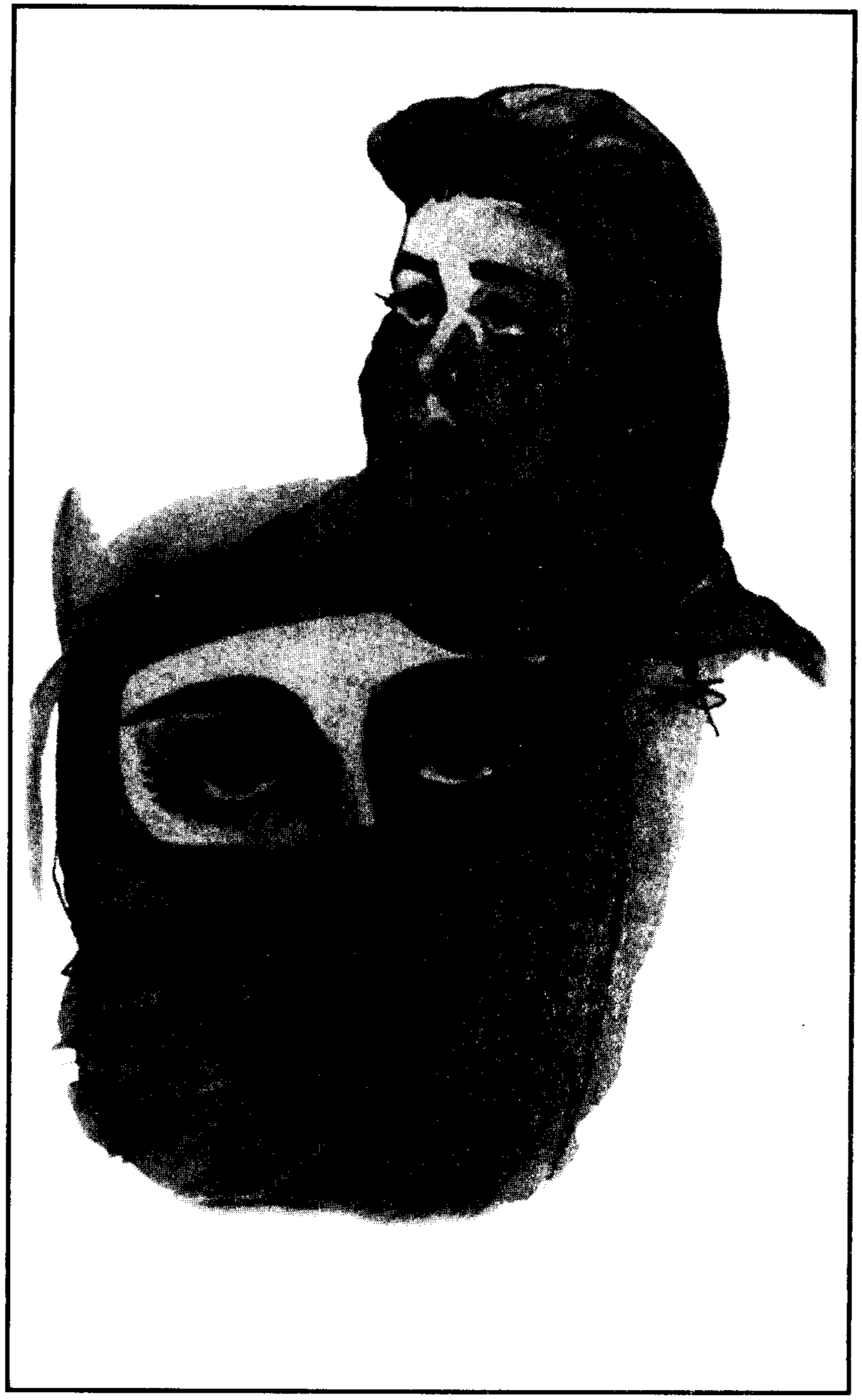

انتباهها لشيء .. أي شيء ..
وفجأة ولأول مرة منذ مرضت زوجة أبي رأيته .. رأيت أبي يجلس ليتناول معها إفطارها .. يا لسخرية الأقدار .. إنه أبداً لم يأكل معها طوال فترة مرضها .. وكنت أعرف هذا وأعيه جيداً ..
ولكن ما حدث جعلني أتجمد خوفا ورعباً وهلعاً .. وكدت أخر صريعة على الأرض وأنا أرى أبي يتناول منها كوب الحليب .. وعقلي يفكر بسرعة .. هل أدعه يموت هو الآخر .. كلا .. كلا .. إنه أبي مهما حدث
صحيح إنني أحتقره .. ولكنه أبي .. ولن أدعه يموت ..
وفوجئت بنفسي أقفز من مكاني إلى حيث هما يجلسان وأمامهما طعام الإفطار .. وفي لمح البصر حملت بإبريق الحليب وقذفته إلى الأرض .. ودفعت بالكأس التي يحملها أبي إلى الأرض .. فتناثرت قطرات الحليب على ملابسه وامتلأت أرضية الغرفة بالحليب المتساقط .. وعقلي يفكر بسرعة .. كيف أبرر لهما تصرفي هذا ..
إن عيناهما جاحظتان دهشة وهما ينظران إلى .. وكل منهما ينظر إلى نظرة مختلفة .. هي تنظر لي نظرات غضب شديدة ممزوجة بالخوف والدهشة .. وأبي ينظر إلي نظرات خائفة .. جزعة .. قلقة ..
وفكرت بسرعة .. إن اكتشف احد امري بان الحليب مسموم .. فسوف اقضي بقية حياتي في السجن ....
فأنا أعرفها وأعرف أبي جيداً .. هي لن تتنازل ولن ترضى إلا بأقصى عقاب لي عن جريمتي في حقها .. وهو سوف يصمت كالعادة ويرضى بالمكتوب ..
وقررت بسرعة بأقل من ثانية واحدة .. قررت أن أمثل دور المجنونة .. فمصحة الأمراض العقلية أرحم مليون مرة من السجن وعقوبة الإعدام ..
ومضيت أمثل دوري ببراعة يحسدني عليها عتاة الممثلين فأسرعت أحطم كل شيء تقع عليه يدي في الحجرة الأكواب .. الصحون .. آنية الزهور .. حتى قوارير عطرها حطمتها كلها بحقد شديد واندماج كلي في دوري المرسوم .. وسمعتها تصرخ .. تصرخ بكل قوتها .. وتقول كلمات لا أفهمها .. وخرجت من حجرتها إلى الصالة .. ومضيت أحطم كل شيء وأنا أشعر بأنني مجنونة بالفعل .. وإنني كان يجب أن أفعل ذلك منذ زمن طويل .. لا الآن ..
وبعد ساعات من تلك الواقعة .. كنت أرقد في سريري في مصحة الأمراض العقلية .. كنت هادئة جدا وسعيدة جدا .. فهذا أفضل من السجن .. ثم إنني

ابتعدت عنها وعن عذابها المقيت وأوامرها التي لا أستطيع أن أناقشها فيها ..
وبقيت في مصحة الأمراض العقلية أربع سنوات لم يزرني خلالها أحد ولم أعرف أية أخبار عنها ولا عن أبي ..
أربع سنوات من عمري مللت فيها معايشة المجانين كنت أريد أن أعيش حياتي .. أن أتزوج مثل أي فتاة أن يكون لي بيت وأسرة وأطفال .. طلبت ذلك من مدير المصحة .. وكانوا يعرفون عني تعقلي وهدوئي وإني لست كبقية المجانين .. فأرسلوا لأبي ليخرجني من المصحة .. ولكنه لم يحضر .. مرت الأيام والأسابيع والشهور .. ولم يحضر .. وأنا ألح .. وأصر في إلحاحي حتى ذهب مدير المصحة بنفسه ليسأل عن أبي .. وأبلغني بالخبر المؤسف .. لقد توفي أبي منذ سنتين .. أي في فترة وجودي بالمصحة .. وترفض هي أن تخرجني بحجة أنها تخاف مني .. وإني لا أزال مجنونة ..
حاول مدير المصحة أن يقنعها بأنني عاقلة .. ولكن عبثاً .. رفضت أن تصدق ..
دمعت عيناي حزناً على أبي .. ولكنني ازددت حقداً عليها .. إنها لا تريدني أن أعيش كبقية البنات .. أنا أعرف ذلك .. إنها تكرهني كما أكرهها أنا .. كلا بل أنا أكرهها أكثر من كراهيتها لي ..
وتمر السنوات تلو السنوات .. ولا أحد يتقدم ليخرجني من أسوار هذه المصحة المقيتة التي أصبحت أكرهها وأفضل لو أنني كنت في السجن بدلاً منها .. على الأقل في السجن سأقابل أشخاصا عقلاء يتحدثون بواقعية .. يشاركونني أفكاري وعقليتي وحديثي ..
ولكن لا أمل .. ورجوت مدير المصحة أن يذهب إليها مرة أخرى .. بكيت أمامه .. ورجوته بأغلى ما عنده أن يذهب إليها ويرجوها .. وسألني عما إذا كان لي أحد غيرها فلم أستطيع أن أجيب .. فأنا فعلاً لا أعرف أحداً غيرها .. فجدتي توفيت منذ زمن بعيد .. وأخوالي تفرقوا الواحد تلو الآخر ..
ولا أعرف أي شيء عنهم .. وهم لايعرفون أي شيء عني ..
وذهب مدير المصحة إليها مرة أخرى .. ولكنها رفضت ككل مرة .. بل وأكثر لقد طردته من بيتها ....
ورفضت أن يتحدث معها في أمري أبدا ..
وهكذا تمر السنون تلو السنين وأنا كما أنا ..
أحيانا أشعر بأنني مجنونة كهؤلاء الذين أعاشرهم .. وأحيانا أشعر بأنني مختلفة

عنهم .. فظروفي هي التي دفعتني لأكون في المصحة مثلهم ..
وأنا كما أنا ..
لا بيت ..
لا زوج ..
لا أطفال ..
أنها هي التي دمرتني ....

« تمـــــت »

لست أنا

كنت جالسة أخيط له ثوبه عندما دخل على .. وقف فوق رأسي وقال بهدوء :
- فاطمة .. أنت طالق ..
اختلطت الأشياء في نظري فلم أعد أميز أي شيء .. أصوات حادة تصرخ في رأسي تكاد تخرق أذناي .. أشعر بالدنيا تدور بي ويدور معها كل شيء .. حتى أنا لم أعد أنا .. غدوت حطام إنسانة في لحظة واحدة ..
نظرت إليه وكأني أنظر إلى مخلوق غريب آت من كوكب آخر .. وخرج من بين شفتي صوت مشروخ .. ليس صوتي .. أبدا .. ليس صوتي .. يقول :
- لماذا .. ؟
ولم أسمع ردا .. وأي رد .. وأي جواب .. أي كلمة سيقولها لن تقنعني .. أي هراء هذا الذي ينطق به ..
أسمع كلمات كطعنات السكاكين ..
- فاطمة إسمعيني .. أنت إمرأة عاقلة يجب أن تفهميني .. أنا سأتزوج .. واشترطوا علىّ أولا أن أطلقك .. لذلك ..
ولم أستمع إلى بقية كلامه .. وكيف أسمع .. كيف لأنني أن تنصتا لهذه النذالة والسفالة بعد عشرة دامت إحدى عشرة سنة بكل عذابها وآمالها .. كيف أسمع هذا الكلام الذي يعبر عن عقلية تافهة ..
لن أسمع شيئا ولن أفهم .. فيكفيني ما سمعته ..
أخذت ألملم ثيابي وما تبقى من كرامتي وجمعتها في حقيبة كبيرة .. ودموعي تأبى النزول وكأنها خائفة ....
خائفة أن تجرح هي الأخرى .. وهو يسير ورائي في كل مكان يشرح لي .. ويحاول أن يفهمني .. ماذا يشرح وماذا يفهم هذا الرجل الأناني .. إنني لاأسمع شيئا من هذيانه ..
ووقع نظري على صورتنا قبل إحدى عشر سنة في ثياب الزفاف .. أنا وهو .. وعادت بي الذاكرة إلى الوراء
كنت في السابعة عشرة من عمري حين تقدم لخطبتي .. لم يكن هو أول رجل يخطبني .. بل كثيرون قبله .. كنت جميلة .. بل رائعة الجمال .. كنت أجمل

بنات الأسرة .. وكان الكل يتهافت على لجمالي لدرجة أن زميلاتي كن يغرن مني ويبتعدن عني .. وبنات الأسرة كن يكرهنني بشدة لأنني كنت أمل كل شاب في العائلة .. ولكنني رفضت الزواج .. ورفضت الحب ورفضت كل شيء .. تقدم لي الكثيرون من المجتمع الراقي ... ولكني كنت أرفض .. أرفض بشدة .. وكل رجل كان يتقدم لي أظهر فيه عيوباً لا تحصى ولا تعد ..كنتأرفضهم ليس هرباً من الزواج نفسه .. ولكن كان في حياتي سر أرفض من أجله كل هؤلاء .. كنت أحب .. نعم .. وهل هناك أعظم سراً من إنني كنت أحب ..

ولا أحد يعلم بقصة حبي سوى أمي ..

وكان حباً مستحيلاً .. وزواجاً أكثر استحالة .. من كافة الوجوه ..

كان حبيبي شقيق صديقتي .. ولكنه كان من جنسية أخرى غير جنسيتي .. وتقاليدنا تمنع زواجنا حتى من قبيلة أخرى غير قبيلتي .. فما بالك بجنسية أخرى .. لاتمت بصلة إلى جنسيتنا .. كانت أمي خائفة عليّ وكنت أنا خائفة أكثر على نفسي .. خائفة على مصير هذا الحب ومستقبله .. كانت أخت حبيبي لا تمل من المحاولة بإقناعي أن يتقدموا لخطبتي .. ولكنني كنت أرفض .. كنت خائفة .. أخاف أن يرفضه أبي وبقسوة .. وأيضاً أخاف على نفسي .. أخاف بعد أن يتقدم لي أن يعلم أبي بكل شيء وهنا الكارثة .. ولكن أمي شجعتني .. قالت لي في أحد الأيام ..

- فليتقدم لك ياحبيبتي .. فليكن حبه لك بالنور لا بالظلام ..
- ولكن يا أمي .. أنا خائفة ..
- لا مبرر لخوفك .. عليه أن يتقدم فإمّا ان يوافق أبوك فتسعدين .. وإما يرفض فتضعين حداً لهذا الموضوع وتريحينني ..

فأعطيتهم الإشارة الخضراء .. أخبرت أخته بأنني موافقة على أن يتقدم لخطبتي ..

وفعلاً بعد أسبوع واحد حضر هو وأبوه لخطبتي .. ولكن أبي سامحه الله طردهم شر طردة .. ولم يكتف بهذا بل هاجمهم بالسباب والشتائم .. ثم دخل عليّ غرفتي منتفخ الأوداج .. وهو في قمة غضبه ولم يتكلم .. لم يفتح فمه بكلمة واحدة .. فقط هوت يده بكل ثقلها على صدغي وصفعني صفعة قوية تركت أثارها على خدي الصغير .. وخرج وهو يتهدد ويتوعد ويقول :

- سأزوجك لأول طارق يطرق بابنا حتى ولو كان شحاذاً ..

وفي نفس الليلة أخبرتني أمي بأن أبي غاضب عليّ أشد الغضب وإنه يتساءل من

أين جاءنا هؤلاء ونحن لا نعرفهم .. ويقول لابد أن لها علاقة بالأمر .. يقصدني أنا .. وطلبت مني أن أنساه وكأنه لم يكن وأن ألتفت لمستقبلي خير لي ..
وحاولت .. حاولت بكل جهدي أن أنسى الحب المستحيل
حاولت أن أقتله داخل نفسي .. ان أخنقه في مهده ..
وفي غمرة حزني وضياعي .. أتى أبي لي ذات ليلة وأخبرني أن هناك رجلاً تقدم للزواج مني .. وأسهب أبي في مدحه رغم إنه لايزال غاضباً مني .. وقال لي أن وظيفة هذا الرجل هو حارس في بنك .. أي ليس مديراً وليس موظفاً .. وليس صرافاً كغالبية الذين تقدموا لي .. بل هو حارس .. أي لاشيء ..
صرخت في وجه أبي رافضة .. ولكنه حدجني بنظرة ارتعدت لها ..
بكيت على صدر أمي طالبة منها العون والمساعدة .. ولكنها قالت لي بهدوء :
- إن هذا الرجل يا ابنتي ليس سيئاً إلى هذه الدرجة .. إنه رجل كامل وإنسان طيب ولا يعيبه سوى وظيفته وبفضلك تستطيعين أن تغيريها .. لاتنسي إن أباك كان مجرد موظف صغير عندما تزوجته والآن إنظري إنه مدير شركة كبيرة ..
- ولكن يا أمي .. أنا لا أحبه ..
- ستحبينه يا حبيبتي مع العشرة .. إن العشرة الطيبة هي التي تخلق الحب ..
وسكتّ .. وأذعنت .. واستسلمت .. وتزوجته ..
ومرت بنا الحياة كأهدأ ماتكون .. كان رجلاً طيباً حقاً .. وحنوناً .. وأكثر من هذا وهذا كان يحبني .. يحبني بجنون .. بل يعبدني .. وتفانيت في إسعاده لعلني أنسى .. ويالعجبي بدأت أنسى .. بل لقد نسيت كل شيء عن الماضي .. ولم أعد أنكره بتاتاً .. كان حب مراهقة ليس أكثر أو ربما حب زوجي لي أنساني كل شيء حتى نفسي ..
وبدأت أحبه .. نعم .. مع مرور الأيام تعلق قلبي به .. فقد كان إنساناً رائعاً .. وكان أبي على حق في اختياره .. بدأت أحاول أن أرتقي به .. أن أدفعه إلى الأمام .. فالتحق في مدرسة ليلية .. وأصبح يذهب في الصباح لعمله كحارس في البنك .. ويذهب في الليل إلى المدرسة ليدرس ويكمل تعليمه .. وكنت وراءه في كل خطوة .. كنت أساعده على الدراسة .. وأوفر له الجو المريح الهادىء .. وأحرم نفسي من أشياء كثيرة لأجله .. لم أكن أطلب من أبي شيئاً أبداً .. كنت أخاف أن أجرح شعوره .. فعشت معه كما يريد .. ولم أحاول يوماً أن أطلب منه شيئاً فوق طاقته .. باختصار كنت أحبه ..
وفي هذا الجو أنجبت طفلي الأول « بندر » يليه « بدر » ..

ثم حصل زوجي على الشهادة الثانوية بتفوق .. وأتبعها بشهادة جامعية .. فعينه مدير البنك موظفا في البنك نفسه .. ونال ثقة وإعجاب الجميع .. كان موظف كفئاً يشهد له الكل بأمانته وتفوقه في عمله ..

وفي هذا الوقت أصبح لدينا خمسة أطفال .. ثلاثة أولاد وبنتان كالأزهار الجميلة يفخر أي أب بأن يكونوا أبناءه ..

وبعد سنوات استحق زوجي أن يصبح مديراً للبنك .. وذلك لكفاءته وكفاحه المنقطع النظير ..

وعرفت الأموال الكثيرة طريقها إلينا .. وانتقلنا إلى بيت آخر جديد وفخم وجميل .. واشترى زوجي سيارة جديدة .. هنا كان لابد أن أعرف أن الدور قد أتى علي .. ولكني لم أفهم .. ولم أعرف .. وكيف أفهم .. أمعقول بعد كل هذه العشرة .. وطوال هذه السنوات .. وكفاحنا المشترك .. وأحلامنا .. وأمانينا .. كلها نسيها كلها .. وكأنها لم تكن .. نسى كل تضحياتي .. وحياتي معه أيام الفقر .. وهمساتي آخر الليل والأطفال جياع .. وثيابي القديمة .. ومصاغي الذي بعته من أجله .. واستقبالي له كلما عاد رغم تعبي الشديد وقلة حيلتي .. وصحتي .. أنني الآن مريضة .. وهو السبب .. مريضة بالسكر .. وأنا لاأزال في الثامنة والعشرين من عمري .. ومريضة بالضغط وأنا لازلت في عز شبابي .. لمن سأذهب بعد أن يطلقني .. أذهب لأبي .. أعود مرة أخرى ومعي خمسة أطفال بعد أن امتص شبابي وأخذ رحيق عمري .. كيف أبدأ حياتي من جديد ومع من .. ؟ من سيقبل بامرأة محطمة أم لخمسة أطفال .. إن مستقبلي ضاع به أو بدونه .. ولكن لا ..

أنظر إليه .. إنه لايزال يتحدث .. لا أدري ماذا يقول .. ولكني أسمع كلمة «الحب» على لسانه وأسخر منه .. وهل يعرف مثله حباً .. إن من يلقي بشريكة حياته ورفيقة دربه إلى قارعة الطريق بعد كل هذه العشرة هو إنسان نذل لايعرف من الحب سوى إسمه .. إنه إنسان جبان لايستحق سوى القتل

نعم القتل .. يجب أن يكون هذا هو مصيره ..

وحملت الصورة الضخمة .. صورة زواجنا .. وهويت بها على رأسه .. وبكل قواي .. وكان لايزال يتحدث .. وصمت .. وتفجرت الدماء من رأسه .. لتغسل كل ما تبقى في قلبي من حقد عليه .. وأنا الآن في السجن .. ويقولون إنني مجرمة .. ولكنني أشعر وكأنني إنسانة أخرى .. أبداً .. أبداً .. أبداً ..

لست أنا .. «تمـــــت»

نوع آخر من الحـب

أنفاسي تتهدج .. صدري يعلو ويهبط .. تنفسي يزداد صعوبة .. دقات قلبي تتسارع بكل جنوني .. ما هذا الذي أسمعه .. أهو حقيقة واقعة أم محض خيال .. وأي خيال .. وأي عقل يتصور هذا الذي سمعته منذ لحظات .. أمعقول هذا ؟ وكيف .. ومتى ؟ وأين ؟ ولماذا ؟ لماذا كل هذا ؟

أشعر بالدنيا تدور بي .. إنني على وشك الإغماء ..

تقذفني الذاكرة بقسوة إلى الماضي السحيق .. وعيت إلى الدنيا وهي كأحلى ما تكون .. أم طيبة حنون .. تجمع في قلبها كل حنان العالم وحبه .. وفي عينيها جمال الدنيا بأسرها .. وأب رائع بكل المقاييس وأروع ما فيه عطفه علينا .. وأربع من الأخوات الجميلات كالأقمار ..

كنت أنا الكبرى بينهن .. وكنت أعلم إنني غير جميلة ..لذلك قبلت أول عريس يتقدم لي .. خفت إن رفضت هذا العريس ألا يتقدم أحد غيره لخطبتي وأقف حجر عثرة في طريق أخواتي .. تزوجته بسرعة وبعد شهر واحد فقط من خطبتنا .. كان متعجلاً وكنا مرحبين فحدث الزواج بدون أي ضجة وأي احتفال .

صدمت بعد الزواج .. وأي صدمة .. كان إنساناً بخيلاً مغروراً ويرى نفسه فوق الجميع .. وأكثر من هذا لقد كان ضعيف الشخصية إلى أبعد الحدود وكان يتأثر بأي كلمة تقال له وخصوصاً من أمه .. لم أكن أعترض على طاعته لأمه أبداً .. فأنا إنسانة مؤمنة وأعرف أن طاعة الوالدين واجبة .. ولكن ليس إلى هذا الحد .. ليس إلى الحد الذي تأمره فيه أمه بأن يطلقني دون ذنب جنيته فيطلقني بسهولة ودون أدنى تفكير .. نعم .. لقد طلقني مرتين وكان يعيدني في كل مرة .. وكنت أقبل .. نعم أقبل أن أعود إليه مرغمة .. فقد كنت أخاف كلام الناس ، وأخاف أكثر على إخواتي .. لم أكن أريد أن أقف في طريقهن .. وكنت أتعذب .. قاسيت ألواناً شتى من العذاب .. كان يعود كل ليلة عند الفجر .. وذلك بناء على طلب من أمه .. كنت أسمعها بأذني وهي تقول له :

– قلت لك عشرات المرات يابني .. لاتفسدها .. إن أكثر ما يفسد النساء هو السهر إلى جانبهن

أتركها لوحدها وسوف تشعر بقيمتك ...

وكأنها طعنتني بخنجر مسموم بكلماتها تلك .. وأي سم تتضمنه تلك الكلمات ..
يارب لماذا خلقتني .. لكل هذه التعاسة ..
كنت سعيدة بأبي وأمي وأخواتي .. لماذا أتزوج وأعيش كل هذه الهموم والمتاعب ووسط هذه الدوامة أحسست بجنين يتحرك في أحشائي .. زادني حزناً على حزن .. فلم أكن أرغب في طفل يشاركني أحزاني .. طفل يرضع العذاب قبل أن يفطم ..
أخبرت زوجي بأمر حملي .. لم يفرح ولم يحزن .. لم يشعر بأي أحاسيس على الإطلاق .. ابتسم بسخرية وهو يقول :
- نعم هذا أفضل من لاشيء ..
هكذا رد علي وبكل بساطة .. وبعد تسعة أشهر من العذاب المقيت أنجبت طفلاً جميلاً .. ملأ قلبي بالسعادة التي كنت قد نسيت طعمها .. وملأ حياتي بالفرح والحبور ..
وعدت إلى منزل زوجي وأنا أحاول أن أبني معه حياتنا من جديد .. ربما مشاعر الأبوة قد تغير فيه كل شيء ويصبح شخصاً آخر غير الذي عرفته .. ولكن أمالي ذهبت كلها أدراج الرياح منذ أن قابلته المقابلة الأولى بعد الولادة .. فقد أخبرني وبكل وقاحة بأنه ينوي أن يتزوج مرة أخرى .. وجرحني في الصميم .. جرح إحساسي وكبريائي بكل قسوة .. أحسست بأنني أبكي من الداخل .. أبكي من أعمق أعماقي .. لم أظهر له الدموع ..
فقط ضممت طفلي إلى صدري وأنا أكتم الشهقات التي أصبح يزدحم بها صدري .. وبعدها أصبح طفلي كل شيء في حياتي .. وأنا أنتظر قدري المحتوم ..
أعيش أيامي بلا أمان .. أخاف من المجهول .. وأخاف أكثر من المستقبل .. كانت أيامي كلها خوفا ورعبا ..
وفي يوم أسود طلقني زوجي .. هذا لايهم .. فلقد اعتدت على هذا منه .. ولكن ما قهرني وفتت أعصابي أنه قد تزوج في نفس اليوم الذي طلقني فيه ..
لم أبك ولم أذرف دمعة واحدة .. ولكن البراكين المتفجرة في صدري تكاد تحطم أعصابي وتحيلني إلى رماد ..
نعم أصبحت شبح إمرأة .. لقد حطمني هذا الرجل ..
ولم أحتمل أكثر من هذا .. لم أحتمل أن أراه يعيش في سعادة وأنا أعيش هذا الكابوس الرهيب .. فقررت أن أعطيه إبنه ..

نعم أنا الأم الحنون قررت هذا .. لأنني كنت متأكدة تماماً بأنه لن يحتمله أبداً وسيأتي إلى راكعاً يرجوني بأن أعود إليه .. وسأرفض وسأركله بكل قسوة .. أخبرت أبي وأمي بقراري ..

صرخت أمي في وجهي :

- تلقين فلذة كبدك إلى أناس ليس عندهم رحمة .. أنت مجنونة بلا شك ..

وكان أبي كعادته دائماً يتكلم بهدوء فقال لي :

- ولكن يا ابنتي هل أنت متأكدة إنك ستتحملين فراقه .. وهل تضمنين إنه سيعيده إليك فيما بعد ؟

- نعم .. نعم يا أبي .. سيعيده .. حتماً سيعيده .. إنه أب قاسٍ .. لايفهم معنى الأبوة ولايدركها .. لن يحتمل الطفل .. إنه أناني لا يحب إلا نفسه ..

وفعلاً وضعت أعصابي في ثلاجة .. وأعطيت أبي طفلي الصغير الذي لم يتجاوز عمره الشهرين بعد ...

سلمته له ودموعي تكاد تحرق خدي .. سلمته له وقلبي يكاد يتفتت .. إنه قطعة مني .. فلذة كبدي

رأى أبي دموعي ولمس ترددي فقال بحنان :

- لازلنا في بر الأمان يا ابنتي .. أرجو أن تغيري رأيك ..

راعني أن أعود مهزومة كما كنت .. فتشجعت وتحاملت على نفسي وقلت بعناد وتصميم :

- لا يا أبي إنني مصممة .. ثم تابعت بصوت خافت .. سيعيده يا أبي .. سيعيده إليّ ..

وبعدها عدت إلى حجرتي .. رأيت ثوب الصغير وسريره ولهايته الصغيرة ومهده .. لم أحتمل .. فبكيت بشدة .. بكيت حتى احترقت عيناي من شدة البكاء .. كنت أشعر وكأن قلبي انتزع مني بقسوة وعنف ..

وفي غمرة اليأس أحسست بيد تربت على كتفي في حنان .. أدرت وجهي لأرى وجه أمي غارقاً في الدموع ..

فضمتني إلى صدرها بحنان وأنا أشهق وأشرق بدمعي ..

ومرت الأيام وأنا أنتظر .. وأتحرق بشوق الانتظار .. ولكن كل يوم يمر يزيدني يأساً وقنوطاً ..

لم يعيدوا إلى صغيري .. ولم يردوا على حتى ولو بكلمة واحدة .. كنت أنام كل ليلة على فراش من الشوك وأنا أبكي بدموع اليأس والندم .. ويعذبني ضميري

بقسوة وألم .. وأتساءل بحرقة كل ليلة ...
«ترى أين هو صغيري الآن .. هل هو عند جدته أم يسكن عند أبيه» .. وكنت أتمنى في سري أن يكون عند جدته فهي أرحم به من زوجة أبيه .. «ترى من يرعاه ويطعمه ويرضعه ؟ ترى هل يعاملونه بقسوة أم ماذا ؟ .. ترى .. وترى ؟» حتى أتعب وأنام .. وانتظرت طويلاً وطويلاً حتى سئمت الانتظار فطلبت من أبي أن يذهب ليعيده إلي .. وذهب أبي ولكنه لم يجد أحداً .. بحث في كل مكان ....
ولا أي خبر ..
جماعة قالوا إنهم انتقلوا إلى بلدة أخرى .. وآخرون قالوا بأنهم سافروا إلى الخارج .. وبين هؤلاء وهؤلاء اختنقت كل الآمال .. وبدد اليأس كل أحلامي .. وأحال حياتي إلى ظلام دامس .. فعشت أيامي في جحيم بين الرجاء واليأس ..
وتمر الشهور تلو الشهور .. ولا خبر .. ولا كلمة ..
وبعد أن مضت ثلاث سنوات تقدم رجل لخطبتي ..
كان في الأربعين من عمره .. مطلقا بدون أبناء .. وافقت بعد تردد كبير .. وذلك بعد أن سألنا عنه بما فيه الكفاية .. كنت خائفة أن تتكرر تجربتي الأولى للمرة الثانية فأضيع بعد ذلك .. ولكن .. بعد أن تزوجته وجدته إنساناً آخر غير زوجي السابق .. كان إنساناً بمعنى الكلمة .. طيباً إلى أبعد الحدود .. رقيقاً في منتهى الرقة .. يتكلم وكأنه يهمس .. يمشي وكأنه يطير .. وعشت معه بمنتهى السعادة التي اكتملت بعد أن أنجبت منه ولداً .. كانت السعادة لا تسعه .. فرح فرحاً شديداً ....
وعوضني طفلي الصغير حسام عن أيام العذاب السابقة التي عشتها .. فأغدقت عليه الحنان أضعاف أضعاف ما أحس به .. أحببته حب طفلين دفعة واحدة ..
كنت أتذكر طفلي الآخر وأتساءل ترى كم عمره الآن إنه يبلغ الرابعة بالتأكيد ..
ترى كيف شكله وملامحه .. ترى هل هو على قيد الحياة .. أم لا .. ترى هل يعرفني كأمه .. أم لايذكرني بتاتاً .. أبداً لم أنساه ..
لم أسمح لحبي الجديد لطفلي حسام أن ينتشلني من عواطفي نحوه أبداً .. أبداً ..
كنت ما أن أتذكره حتى تمتليء عيناي بالدموع .. وينضح قلبي بالأحزان ..
ومرت السنين بسرعة وأنجبت ثلاثاً من البنات .. لم أفرح بهن قدر فرحتي بولدي حسام .. ولكنه كان ضعيفاً مريضاً منذ مولده .. كان لايستطيع حتى أن يعيش صباه مع من هم في مثل سنه .. كان قلبي يتقطع من أجله .. وبعد كشف

متواصل عند عدد من الأطباء اكتشفنا إن لديه فشلا كلويا مزمنا ولابد له من كلية أخرى .. وإلا عاش طوال حياته وهو يتردد على المستشفيات للغسيل الكلوي .. لابد له من كلية .. وأسرعت إلى المستشفي تسبقني لهفتي ودموعي .. وأعلنت لهم رغبتي في التبرع ..
أتبرع بكل شيء من أجل حياة إبني .. حياتي لا تساوي شيئاً إلى جانب حياته .. وخضعت على الفور للفحص والتحاليل والكشوفات .. ولكن لا .. لا أمل .. كليتي لا تناسبه .. صدمت وأسودت الدنيا في عيني .. ولكن لا يا حبيبي .. هناك أبوك .. وفعلاً تقدم أبوه للتبرع .. وإخواته .. الواحدة تلو الأخرى .. ولكن لا فائدة .. لا شيء يناسبه .. جزعت .. ما العمل .. كيف أنقذ ولدي المسكين ...
كيف أجعله يعيش حياته وشبابه بدون وهم .. وبدون أمراض ..
بكيت بشدة .. ولكن زوجي الحبيب وقف إلى جواري .. إنه ولده أيضاً .. وقرر أن ينشر إعلاناً في الجريدة اليومية .. يكون مجمله بأن من يتبرع بكليته له مبلغ ضخم من المال .. يحدده كما يريد .. وفعلاً بعد عدة أيام من نشر الإعلان .. تقدمت مجموعة غير قليلة من الشباب .. جميعهم خضعوا للفحوصات .. ولكن واحداً فقط كان هو الذي تنطبق عليه المواصفات ..
كان شاباً هزيلاً ضعيفاً يسكن الحزن عينيه دائماً .. يتكلم وكأنه يبكي .. يمشي وكأنه يساق إلى حتفه
سأله زوجي :
- هل أنت على استعداد لعمل هذه العملية رغم ما فيها من مخاطر .. ؟
أجاب هامساً :
- نعم ..
رد عليه زوجي ..
- أنت بالطبع على علم تام برأي الأطباء .. قالوا إن جسمك ضعيف وقد لاتتحمل العملية ..
أجاب بصوت خافت ..
- أنا مستعد لكل الاحتمالات ..
وفي تلك الليلة قبل العملية أخبرني زوجي بأنه خائف على هذا الشاب لأن جسمه ضعيف وقد يموت أثناء عملية نقل الكلية .. ولكنني رددت على زوجي بعنف :

- يموت من يموت .. أنا لايهمني غير إبني .. أريده أن يعيش بصحة جيدة مثل بقية الشباب وغيره لايهمني أحد ..

وفي يوم العملية كنت قلقة .. خائفة على حسام .. وكانت المفاجأة ..

مات الشاب أثناء نقل الكلية .. ونجحت العملية لحسام .. لا أنكر لقد حزنت على موت هذا الشاب المسكين ولكن هذا لايقلل من فرحتي بنجاح عملية ولدي .. حبيبي .. ولكن ما أسمعه الآن إن هذا الشاب المتوفي هو ولدي .. حبيبي .. فلذة كبدي .. إبني الآخر من زوجي السابق .. إن اسمه بالكامل يطابق إسم زوجي السابق .. زوجي الأناني النذل الحقير .. الذي جعلني أقتل إبني ..

نعم أنا التي قتلته .. أنا التي صممت على إجراء العملية رغم ما فيها من مخاطر ..

إن قلبي ينزف دماً عليه .. ليتني ضممته إلى صدري .. ليتني قبلته .. ليتني أطفأت ظمأي إليه قبل أن يذهب .. قبل أن يرحل ..

إنني أبكي عليه بدل الدموع دماً .. ولكنني سأكفر عن ذنبي بحقه .. سأنذر حياتي من أجله .. سأدعو له في كل صلاة .. سأضع صورته في كل مكان .. سأنجب ولداً وأسميه بإسمه .. ولكن .. لن أنساه أبداً ..

« تمـــــت »

آسفة .. لم أكـن أدري

لم تكن تقصد أبداً أن تفتش أوراقه .. كانت تحاول أن ترتب مكتبته .. فوجئت .. بل صدمت .. عندما وجدت رسالة حب لزوجها ، ومن من ؟ .. إنها لا تعرف .. الإسم غريب عليها والرسالة مكتوبة بلغة أجنبية فهمت منها بضع كلمات .. دارت الدنيا برأسها ولم تدر ماذا تفعل ؟ أتخبره بما وجدت ؟ أتناقشه في أمر هذه الرسالة ؟ .. ولكن !! .. فكرت بأن تترجمها أولاً ثم تحدد ماذا تفعل بعد ذلك .. تناولت قاموس الكلمات وأغلقت على نفسها باب الحجرة وأخذت تترجم كلماتها وهي مصعوقة .. هل يعقل هذا الذي تقرأه في الرسالة ؟ هل هذا معقول ؟ زوجها متزوج من أخرى .. أجنبية وله منها طفلان .. يا إلهي !!

أسقطت رأسها على أقرب وسادة وهي ترتجف .. والعواصف الرهيبة من الأفكار الدامية تكاد تقتلع قلبها من مكانه .. ماذا تفعل الآن وكيف تتصرف ؟ هل تناقشه ؟ أم تهجره وتذهب إلى بيت أبيها دون مناقشة ؟ .. أم تطلب منه الطلاق دون توضيح أسباب ؟ أم .. أم تقتله ؟ .. نعم إنه يستحق القتل ؟

فلماذا يخدعها ؟ ولماذا يكذب عليها ؟ .. لماذا لم يخبرها منذ البداية .. فربما تقبل وتتزوجه ، وربما ترفض وتتزوج من غيره ؟ .. إنه إنسان أناني لا يحب إلا نفسه !!

ولكن ما ذنب الطفلين ؟ .. أيمن ورنا .. ماذا تقول لهما ؟ .. وكيف تفسر لهما أسباب طلاقها من أبيهما ؟

أتخبرهما بأن لهما أخوة أجانب .. في بلد آخر .. لايربطهم بهما أي صلة حتى ولا صلة الدين ..

وضمت رأسها بقوة بين كفيها وكأنها تود لو تحطمه .. إنها حتى غير قادرة على التفكير السليم ....

ترى كيف شكل زوجته الأخرى ؟ هل هي جميلة مثلها ؟ .. أم ربما هي أجمل منها .. لا .. ربما هي طويلة شقراء .. نحيفة .. عجفاء .. ليس لها أي طعم .. فهكذا يفضلها الرجال .. ولما لا ؟ .. إن زوجها واحد منهم .. طارق .. لا .. إنه ليس مثلهم أبداً .. إنه إنسان آخر .. في طيبته وأخلاقه

وتربيته .. إنها تذكر جيداً كيف تعرفت عليه .. كان يسكن إلى جوارهم هو وعائلته الكبيرة .. أبوه وزوجتاه الاثنتان وإخونه وأخواته .. كان طارق هو أكبر إخوانه من زوجة أبيه الثانية .. كان في الخامسة والعشرين من عمره حين تعرفت عليه .. لا .. أبداً .. إنها لم تتعرف عليه... بل هو رآها مرة عند والدته .. كانت ترقص مع أخواته على إحدى الأغاني الراقصة .. رآها صدفة ولم يستطع أن يحول عينيه عنها .. عيناها السوداوتان الجميلتان وشعرها الأسود الطويل وقوامها الرائع .. أحست بأن هناك من يرقبها .. التفتت فجأة .. لتلتقي عيناه بعينها في لحظة خاطفة أشعلت شرارة الحب في قلبيهما .. ثم أسرعت لتلقي نفسها في أحضان إحدى أخواته وغطت وجهها بيديها ..

خرج طارق من بيت أهله ووفاء تحتل كل تفكيره .. بل كل جزء من قلبه .. أن صورتها تتراءى له حتى وهو يقود سيارته .. وبعد بضعة أيام طلبها للزواج من أبيها .. إنها لاتنسى فرحتها الشديدة بذلك .. ولما لا وهي قد أحبته من أول نظرة .. إن صورته وهو يحدق فيها بعينيه العسليتين لا تفارق مخيلتها .. إنها كانت تتمنى شابا مثله .. في مثل وسامته .. في مثل أخلاقه .. في مثل مرحه وحبه للحياة .. إنها لاتزال تذكر ابتسامة والدها الكبيرة وهو يسألها رأيها في الزواج من طارق :

– وفاء .. إن طارق شاب ممتاز وتتمناه أية فتاة .. وأنا لا أريد أن أجبرك على شيء .. فما رأيك و ....

صمتت وفاء وظل ابتسامه تتراقص على شفتيها .. وفهم والدها موافقتها على الزواج .. فتمت خطوبتها لطارق والدنيا لا تسعها من شدة الفرحة .. إنها تذكر أول مكالمة هاتفية له .. في نفس الليلة سمعت صوته الجميل يأتيها من بعيد وهو يضحك :

إن أبي متزوج من امرأتين ولابد أن الدور سيأتي علي .. وهأنذا خطبت فتاة .. إذن بقيت لي فتاة أخرى ..

زمت شفتيها في دلال مصطنع وهي تقول :

– إذن نفك ارتباطنا منذ الآن .. فأنا لا أتزوج نصف رجل !

ترقرقت ضحكته الصاخبة في أذنيها وهو يقول :

يجب أن تحمدي الله على إنك ستتزوجين من نصف رجل .. كثيرات غيرك لايملكن سوى الربع فقط ..

إنها تذكر كل كلماته .. كل همساته .. كل ضحكاته .. همست « يالي من

مغفلة » .. إنه دائماً يقول لها بأنه سيتزوج من أخرى .. وكانت تعتقد بأنه يمزح فقط .. ولكن !!
ثم جاءته البعثة .. نعم فقد إختارته شركته التي يعمل فيها ضمن أربعة من زملائه في بعثة خارج البلاد .. فرح هو وحزنت هي .. فرح ليعجل بزواجه منها وترافقه في سفره .. فرصة العمر .. عمل وشهر عسل .. و .. ولكن رفض والدها .. رفض بشدة أن تتزوج قبل أن تكمل دراستها .. حاول طارق إقناعه بشتى السبل .. قال له بأنه من الممكن لوفاء إكمال دراستها معه في الخارج .. ولكن والدها رفض ذلك بحجة أن الزواج معناه إنجاب أطفال .. والأطفال والدراسة لا يجتمعان أبداً ..
بكت وفاء على صدر أمها وهي تطلب منها إقناع أبيها بفكرة الزواج .. ولكن أمها أقنعتها هي ....
أقنعتها بمنطقها .. واقتنعت وفاء .. وصمتت .. ورضخت ..
ولكن طارق لم ييأس .. أخذ يرجو والد وفاء بأن يعقد القران فقط وتؤجل ليلة الزفاف إلى ما بعد العودة من البعثة بعد أربع سنوات .. إنه يريد أن يربطها به أكثر .. فوافق والدها على مضض .
وفي ليلة عقد القران .. التقت به .. نظر إليها بعينين مبهورتين بجمالها .. قالت له بصوت هامس :
- أخاف أن تنساني هناك ..
ابتسم ونظراته تطوف في وجهها وهمس :
- معقول !! .. وأين أجد فتاة في مثل جمالك هذا ولو طفت العالم بأجمعه .. إنني أتمني أن تمضي هذه السنوات الأربع بسرعة لأسعد بك ..
سكتت وفاء على استحياء وهي مطرقة برأسها ثم لمعت الدموع في عينيها الواسعتين ورأت مثلهما في عينيه .. إنه يبكي فراقها ..

وفي يوم سفره بكت وفاء .. بكت كما لم تبك من قبل .. ومن يومها وهي تنتظره .. أنتظرته بكل آمالها .. وكل أحلامها .. وكل دنياها .. إنه حبها الأول والأخير .. تلقت أول رسالة منه .. قرأتها بقلبها قبل أن تقرأها عيناها .. دمعت عيناها وهي تلتهم سطور الرسالة .. وردت عليه في نفس الليلة ..

وتوالت رسائله إليها مضمخة بالحب والأشواق والحنين .. لم تشعر بشيء غريب .. لم تقرأ ما بين السطور .. لم تفهم شيئاً وأي شيء .

كانت رسائله تشتعل باللهفة .. اللهفة إلى يوم زفافه إليها .. وكانت دائماً تضمن رسائلها سؤالاً خبيثاً عما إذا كانت هناك أخرى شقراء قد خطفته منها .. ولكنه كان يرد عليها بسخرية بأنه يحاول هناك بأن ينتقي ثلاث شقراوات ليكونا رباعياً نسائياً فتحصل هي على الربع فقط .. وكانت وفاء تضحك .. تضحك كثيراً من كلماته الساخرة ولم تكن تعتقد بأنه يوماً ما سيجعل الخيال واقعاً مريراً ..

وعاد بعد أربع سنوات إنساناً آخر .. لا .. إنه هو .. هو طارق لم يتغير .. كل ما تغير فيه هو طريقته في الكلام وأسلوبه في السخرية ..

إنها الآن تذكر جيداً بأنه حاول تأجيل الزواج شهرين بعد رجوعه .. صدمت حقيقة .. وثارت في نفسها التساؤلات الكثيرة ولكنها .. لم تعط للأمر أية أهمية ..

وفي ليلة زفافهما همس في أذنها :

- صدقيني لم أرى أجمل منك في حياتي .. إنني أحبك يا وفاء .. أحبك أكثر من أي شيء آخر في الوجود ..

ومضت أيامهما سعيدة حلوة لا يعكرها شيء .. بل على العكس كان يؤكد لها في كل يوم بأنه يحبها أكثر من اليوم الذي قبله .. وحملت وفاء .. وفي مطلع العام التالي كانت قد أنجبت أيمن .. وتكللت سعادتهما بوجوده .. فلم تشعر وفاء في أي يوم من الأيام بأن زوجها مشغول بشيء غيرهما .. بل لم تشعر إطلاقاً بأن في حياته أحداً غيرها .. فقد كان من أفضل الأزواج طيبة ورقة وحنان وتفهم .. وأهم شيء بأنه كان يعشق بيته الصغير .. فما يكاد ينتهي من عمله حتى يطير إليه محملاً بالأشواق والحنين ..

وبعد ثلاث سنوات حلت «رنا» ضيفة جديدة على بيتهم .. واستقبلوها بكل سعادة وحب وشوق .. ولم تلاحظ وفاء شيئاً على زوجها .. بل إنه لم يتغيب قط

خارج البيت .. حتى في سفراته النادرة إلى الخارج كان يصحبها معه ..
اشتدت حيرتها والرسالة المجهولة بين يديها .. إنها الدليل الوحيد ضده .. وفكرت وفاء كيف تواجهه بها .. هل تصرخ في وجهه ثم تلقي إليه بالورقة .. أم تطلب الطلاق منه أولاً .. فإذا أجاب طلبها أخرجت له الرسالة .. ولكن ؟ ماذا عن الطفلين .. ما ذنبهما ليتعذبا كل هذا العذاب ؟ .. إنه هو السبب .. فلو إنه صارحها بمجرد عودته من الخارج بزواجه لما تزوجته أصلاً .. ولطلبت منه الطلاق في وقتها وقبل مجيء الطفلين .. لكنه الآن طارق .. زوجها .. إنها تحبه .. بل إنه أغلى إنسان في حياتها .. وانهمرت الدموع من عينيها لتغسل وجهها الحزين .. وقررت من بين دموعها إن تصمت وكأن شيئاً لم يكن .. إنها لن تصارحه بشيء .. فلن تهدم عشها الصغير بيديها .. لن تهدم بيتها الذي بنته بكل الحب والإخلاص .. وستغلق قلبها وراء سرها ولن تبوح به لأحد .. فربما الأيام وحدها هي التي تنسيها جرحها العميق ..

ودخل طارق .. سمعت صوت مفتاحه يدور في قفل الباب .. جففت دموعها بسرعة .. وأخفت الرسالة داخل جيبها .. وأسرعت تستقبله كعادتها دائماً وكأنه لم يحدث شيء .. لا .. إن هناك شيئاً فيها قد تغير .. إنها تنظر إلى عينيه بحزن .. وتتخيل .. بالتأكيد كانت الأخرى أيضاً تتطلع إلى عينيه العسليتين .. تنحدر نظراتها إلى شفتيه .. تشعر بأن شفتيه ملوثتان فتعرض عنهما .. ينظر إليها بذهول فقد أحس بتغيرها وإن لم ينطق .. دخل حجرة مكتبه وهي تتابعه بنظرات تقطر أسى ولوعة .. هذه القامة الطويلة .. هذه المشية المهيبة .. هذه الابتسامة .. إنها تعشقه .. إنها لم تشعر أبداً بأنها تحبه بهذا الشكل الجنوني .. كما تشعر الآن .. إنها لن تستطيع أن تفارقه أبدا .. ارتفع صراخه من حجرة مكتبه يطلبها هرولت ملبية النداء .. صرخ بحدة :

- أين الورقة التي وضعتها هنا ؟

همست بهدوء غريب والحزن يكسو صوتها بوقار لم تعهده :

- عن أية ورقة تتحدث ؟

رد عليها بصوت قلق وهو يبحث بين الأوراق :

- رسالة من زوجة صديقي عبد الله من الخارج تطالبه فيها بالحضور .. عبد الله هل تذكرينه .. إنه الذي كان معي في البعثة وأخبرتك يومها بأنه تزوج من

أجنبية ، وإنني حضرت حفلة زواجه هناك ..
هيا ابحثي معي .. ألم يدخل أحدٌ من الأطفال هنا ؟
أسرعت إليه لتحتضنه بحب والفرحة والخجل يعقدان لسانها ..
نظر إليها بدهشة وهو يتساءل :
- مابك .. أين الورقة ..
نكست رأسها بخجل وهي تخرج الورقة من جيبها .. ذهل .. ثم فهم كل شيء
وضحك عالياً وهو يقول :
- يالك من حمقاء .. انظري .. ألم تقرئي إسم المرسل إليه ..

« تمـــــت »

بقـــايـــا امـــرأة

فتحت عينيّ المكدودتين ببطء شديد .. ضباب يخالط رؤيتي وخيالات مجسمة لأناس كنت أعرفهم .. كنت !! ...
إذن أنا لا زلت حية ولم أمت بعد .. أحاول أن أتحسس جسدي ولكنني لا أستطيع أن أرفع يدي .. آلام شديدة تخترق كل جزء من جسمي كالآلات الحادة .. كشفرات الأمواس .. يا إلهي إنني أتعذب .. أنين تعانقه آهات .. وألم .. ألم بلا حدود .. ألم حتى الموت .. الموت الذي لم أحصل عليه ..
سمعت صوتاً مألوفاً لدى يهتف :
- لقد أفاقت من البنج .. الحمد لله يارب ..
إنه صوت أمي .. صوتها الرقيق الحزين المليء بكل الحنان والحب .. إنها أمي وأنا أحبها ..
أمي التي ضحت من أجلنا بكل شيء وكسبت لاشيء ..
تقوى ذاكرتي فجأة .. تقفز إلى الماضي .. تنتشلني من بين أوجاعي وتحلق بي في سماء الماضي الكئيب .. المتوحش ..
كنّا أسرة سعيدة .. لا أنكر هذه البداية .. أمي وأبي وخمسة أطفال كبراهم أنا .. بيت نموذجي للسعادة المرجوة رغم إنني لا أعرف مدى العلاقة بين أمي وأبي .. أراها تحترمه وتقدره وتعامله بكل خوف وإجلال .. وكأنه شيء كبير مقدس تخشى أن تمسه .. أو تدنسه !! وكان يعاملها بلا مبالاة وكأنها شيء لا أهمية له سوى الطبخ والكنس وإنجاب الأطفال .. أعرف مقدار الهوة العميقة التي تفصل بين تفكير أبي وأمي .. أعرف بأن أبي حاصل على أعلى الشهادات العلمية ومن أعرق جامعات أوروبا .. وبالمقابل أمي لم تنل أي حظ من التعليم .. كنت أتساءل دائماً ما الذي جمعهما رغم الفارق الهائل في تفكيرهما ..
وكانت أمي تجيبني بأن أبي كان يرغب بفتاة جاهلة ليتزوجها .. كان يرهب المتعلمات ودائماً ينعتهن بالصلف والغرور .
كنت أعجب من تفكير أبي السطحي رغم مانالله من العلم .. ولكن كنت دائماً

أعذره .. ربما هو معذور وله وجهة نظر خاصة ، ولم أسأل أكثر .. ولم أستفسر .. كنت أكتفي ببيتنا السعيد الخالي من المنغصات والعذابات ..
حتى كان يوم .. فوجئنا فيه بزلزال هز أعماقنا .. وأدمانا حتى الصميم .. لقد تزوج أبي من أخرى .. مطلقة بدون أطفال .. جامعية تليق به وترقى إلى مستوى تفكيره على حد قوله ..
كانت الصدمة قوية على أمي .. شديدة .. حطمتها في لحظة واحدة .. وأحالتها إلى إنسانة أخرى .. لا نعرفها .. عبارة عن كومة من العظام تتحرك دون وعي.. وتمشي دون تفكير .. وتنام بدون عقل .. تحولت أمي إلى بقايا امرأة .. بل إلى رماد ينبض بقلب مكسور جريح .. أفقت ذات ليلة على صوت بكاءها .. أول مرة في حياتي أرى أمي تبكي .. كانت دائماً حريصة على إخفاء دموعها عنا وعلى طي أحزانها في قلبها .. ولكن تلك الليلة .. أذهلني بكائها المر .. أحسست إنها تبكي بأعمق أعماقها وكأن دموعها جمر من النار تحرقها قبل أن تنحدر على خديها الشاحبين .. نهضت من سريري متثاقلة وألقيت نفسي بين ذراعيها وبكينا سوياً .. بكينا الأب الغائب الحاضر .. المسافر المقيم .. الذي نسينا بمجرد زواجه .. نسى بأن له بيتاً وزوجة وأطفالاً فلم يعد يسأل عنّا بتاتاً ولا مجرد سؤال ..
عايشنا الرعب والخوف من المستقبل المجهول خصوصاً عندما انخرط أخي «تامر» الذي يصغرني بسنة واحدة مع شلة من الشباب .. فاسدين .. منحطين .. لا يتورعون عن ارتكاب أي شيء في سبيل لهوهم ومجونهم ..
وفي يوم أسود اكتشفنا أنا وأمي بأنه مدمن .. مدمن مخدرات .. انتابنا الفزع .. بكت أمي وبكيت معها .. ولكن القدر لم يرحمنا .. فبدأ أخي يسرق .. يسرق كل شيء تقع عليه يداه .. مصوغاتي الذهبية .. ومصوغات أخوتي وأمي .. أثاث البيت .. حتى جهاز التليفزيون الوحيد باعه ليقبض بها ثمن المخدر اللعين ..
وفي خطوة جريئة لجأت أمي إلى أبي .. ذهبت معها لنحادثه بأمر أخي .. استقبلتنا زوجته بنفور .. رمقتني باحتقار وهي تقول :
- إذن فأنت بدرية ابنته الكبرى .. كنت أتوقعك أجمل مما أراك الآن ..
لم أرد عليها .. فقط أخذت أتأملها بصمت .. إنها ليست جميلة .. أبداً .. إن

أمي أجمل منها بكثير .. ما الذي أعجب أبي فيها .. ما هو الشيء الذي أعطته له .. ولم تستطع أمي أن تعطيه إياه .. إنها عادية جداً .. بل أقل من عادية .. تقوقعت أمي على نفسها حتى حضر أبي .. كان مرتبكاً .. قلقاً .. وكأنه خائف من شيء ما .. وكأنه يبحث عن شيئاً ضاع منه .. بادرته أمي بصوت مرتجف :

- إبننا .. تامر .. لقد ضاع ..

بهت .. ولكنه أنهى الموضوع سريعاً بقوله :

- حسناً .. إذهبي أنت وبدرية إلى البيت وسألحق بكما هناك ..

نظرت إليه زوجته نظرة نارية فخفض عينيه بسرعة .. وعرفت شيئاً .. عرفت وقتها إنه لن يلحق بنا أبداً .. بل لن تطأ قدماه أرض بيتنا .. ولم أخبر أمي بخواطري .. تركتها تأمل وتنتظر عودته المرتقبة .. ومر يوم .. واثنان .. وثلاثة .. وأسبوع .. وشهر .. وهو لا يأتي .. وحالة أخي تزداد سوءاً وحالتنا تزداد كآبة وضياعاً .. حتى خالي لم يستطع أن يفعل شيئاً لأمي .. فأخي لايجد معنا نقوداً .. فيمزق ثيابنا ويحيل بيتنا إلى فوضى وحياتنا إلى جحيم لايطاق .. حتى قبض عليه ذات يوم وألقي في السجن .. هنا تنفسنا الصعداء .. ولكن أمي لم تشعر بالراحة .. إنها تبكي الليل والنهار .. وأسمعها دائماً تحادث نفسها :

- كيف أفقد الزوج والإبن في وقت واحد ؟ ..

ولم تدخر وسعاً لإخراج تامر من السجن .. استعطفت أخاها .. وبكت تحت قدمي والدي .. ورجت الجيران .. ولكن .. لا فائدة .. لابد أن يمضي مدة العقوبة أربع سنوات .. وأبي لا حياة لمن تنادي .. نسى تماماً بأن له إبناً فاسداً يحتاج إلى إصلاح وتهذيب .. ونسينا نحن أيضاً بناته .. فنحن في أمس الحاجة لوجود رجل إلى جوارنا ..

وفي أحد أيامنا الحزينة حضر أبي إلى بيتنا .. غريبة !! ..

أول مرة يحضر إلى بيتنا منذ زواجه وإنجابه وانشغاله بحياته الجديدة .. زالت دهشتي حينما عرفت سبب مجيئة .. إن ابن عمي يطلبني للزواج .. إبن عمي الذي لم أعرفه أبداً طوال حياتي .. فهم في مدينة أخرى غير مدينتنا .. كل ما أسمعه عنه هو إنه شاب ناجح في حياته .. ولكنه تزوج وطلق مرتين ..

حاولت أن أفتح فمي لأعترض ولكن أسكتني أبي بقوله :

- إنه شاب ممتاز .. ولن تجدي مثله أبداً في حالتك هذه ..
ابتلعت غصة في حلقي .. ماذا يقصد في حالتي هذه .. هل يقصد أخي المسجون .. أم ..
أم يقصد نفسه وابتعاده عنّا ..
بكت أمي وهي تقول :
- إنها لازالت صغيرة .. ألا تؤجل الزواج سنتين على الأقل ..
صرخ أبي في وجهها بحدة :
- أنت السبب .. ستفسدينها كما أفسدت أخاها ..
إصمتي وإلا كنت سببا في خراب بيتك .. إن تكلمت كلمة واحدة سأطلقك ..
سكتت أمي وهي تبتلع دموعها .. وأنا واقفة فاغرة فمي في ذهول .. وعقلي عاجز عن التفكير ..
فالذي يحدث لي ضرب من الجنون ..
وفي غضون أشهر معدودة عقد قراني على ابن عمي بهدوء وبدون ضجة .. على أن يكون الزفاف بعد خروج أخي من السجن ..
لم أشعر بأية عاطفة تجاه زوجي المقبل .. بل لا أكذب إن قلت بأن شعوري تجاهه هو مزيج من النفور والاشمئزاز .. الاشمئزاز من طريقة تفكيره ومن عقليته الرجعية رغم إنه شاب ومتعلم ..
من قال بأن العلم ينور العقول ؟ من قال بأن العلم يهذب النفوس ؟ في حياتي أنا لم أر إلا العكس إن العقول المظلمة الحالكة الظلام لا ينيرها ولا حتى أنوار الدنيا كلها ..
وخرج أخي من السجن ويدي على قلبي .. فقد كنت خائفة من إتمام زواجي والسفر مع زوجي إلى مدينته البعيدة .. بعيداً عن أمي وأحزانها ووحدتها ..
فرحت أمي بخروج أخي من السجن .. ولكن فرحتها لم تلبث أن خفتت وتحولت إلى يأس مرير فقد خرج من السجن أكثر فساداً وإنحلالاً .. لدرجة إنه أصبح يستدعي رفاقه من شلة السوء للسهر في بيتنا .. ونحن النساء الوحيدات بدون رجل ..
وتمادى في استهتاره لأبعد حد .. فأصبح رفاقه يتجولون في أنحاء البيت آخر الليل .. ونحن منزويات في غرفة مظلمة نكبت دموعنا وشهقاتنا وخوفنا

الشديد ..
وفي ليلة سوداء كقدري .. وقع ما كنت أخشاه .. فقد تصيدني أحد أولئك الذئاب في المطبخ ونال مني أعز ما أملك ..
من يصدق ؟ إنها الحقيقة الشوهاء التي أكرهها كما لم أكره أي شيء في حياتي ..
وقفت مذهولة ألملم ثيابي الممزقة وصرخات تدوي في عقلي تشق أنهاراً من الأحزان داخلي .. ماذا حدث ؟ ولماذا ؟ وأين ؟ .. وكيف ..؟ وأخي .. إبن أبي وأمي .. من سيتزوجني الآن ؟ إن أي شحاذ سيرفضني باحتقار وازدراء .. ؟ وابن عمي ؟ وأبي ؟ .. وأمي ؟ والناس ؟
وفي لحظة غاب فيها التفكير قررت أن أنهي حياتي بيدي .. أن أواري عاري التراب .. حتى لا يكتشف أحد بأن شقيقي ابن أبي وأمي باعني بأرخص الأثمان .. وبصقني كما النفايات .. تناولت علبة الكيروسين وسكبتها على نفسي .. ثم أشعلت عود الثقاب .. وصرخت صرختي التي تمنيت أن تكون الأخيرة .. أشعلت النار في نفسي .. تتناهى إلى سمعي قهقهة أخي ورفاقه الأنذال .. وبعدها لم أشعر بشيء .. ولكني لم أمت .. لهيب النيران قضى على جسدي ولم يقض عليّ .. تكلمت أمي بصوتها الحزين :
- حبيبتي لماذا فعلت ذلك في نفسك .. أهنت عليك لهذه الدرجة ..
تحدرت دموعي حارة .. حارقة وسألتها بصوت خافت :
- ألا زال ابن عمي يرغب في الزواج مني وأنا هكذا إنسانة مشوهة ..
أشاحت بوجهها عني ودموعها تتلألأ في عينيها ..
تنهدت وأنا أقول لها :
- أعرف يا أمي .. أعرف .. لقد طلقني .. أليس كذلك ؟
صمتت ودموعها تتحدث ..

« تمـــــــت »

دمـــوع في عينيـــها

وأخيراً وبعد محاولات عديدة ومناقشات حادة وتوسلات محرجة .. دخلته .. بيتي القديم ..
دخلت إليه أقدم رجلاً وأؤخر الأخرى .. أمشي خطوة وأتراجع خطوات .. ويدي على قلبي .. ودمعتي في عيني ..
في مدخل البيت أحسست بضربات قلبي تدق في سرعة جنونية .. وأنفاسي تتسارع .. وصدري يعلو ويهبط ..
نظرت إلى أمي بيأس ولكنها شجعتني بابتسامة كبيرة .. فمضيت أتجول في أنحاء البيت .. لفتت نظري لعبة صغيرة ملقاة على أحد المقاعد .. عند هذا لم أستطع الصمود .. أسرعت راكضة نحو اللعبة وضممتها إلى صدري وأنا أبكي وأنتحب .. لقد فتحوا في قلبي جروحاً أقفلت على صديد .. تقدمت أمي مني لتأخذني بعيداً عن اللعبة ولكنني صرخت فيها بل صرخت فيهم جميعاً ..
- أرجوكم .. أرجوكم دعوني وحدي .. أنتم أردتم هذا .. فدعوني أواجه الموقف بمفردي ..
نظرت إليهم بعينين امتلأتا بالدموع حتى خرجوا الواحد تلو الآخر .. وتركوني بمفردي .. لا لست بمفردي .. بل تركوني أنا والعذاب والوحدة والحزن .. فهؤلاء هما رفقائي بعد أن ودعتني هي .. أمل حياتي وروحي .. أخذت أقلب عينيّ بنظرات زائغة إلى ما حولي وأنا أضم اللعبة الحبيبة إلى صدري الجريح ..
رأيته .. نعم إنه هو .. رغم إنه يبدو في الصورة أكبر قليلاً عما هو في الواقع .. ولكن لا .. إنه نفس الجبروت .. نفس الغرور المقيت .. نفس التعالي والتكبر .. نفس القسوة والتسلط .. نفس الوسامة الشديدة والثقة بالنفس التي لا حدود لها .. إنه مجرم .. سافل .. قذر .. رغم مظهره الجميل .. إنني أكرهه .. بل إنني أمقته ..
رأيته في يوم أسود كقدري وأنا في الطريق إلى المدرسة .. كان يتتبعني في

خطواتي حتى دخلت باب مدرستي الثانوية .. وبعدها بدأت أراه كل يوم في غدوي ورواحي ..
كانت صديقاتي يتغامزن عليّ بأنني أنا المقصودة ولكنني لم أكن متأكدة من إنه كان يقصدني بهذه المتابعة اليومية .. وبدأت أفكر ربما هو يقصد فتاة أخرى غيري .. أو ربما هو اعتاد على السير هكذا للرياضة كل يوم .. وربما .. وربما .. وبدأ يشغل دون أن أدري جزءاً كبيراً من تفكيري .. وأحياناً أمضي النهار بطوله وأنا أفكر فيه .. فقد كنت كغالبية الفتيات في سني آنذاك رقيقة المشاعر .. شديدة العواطف ..
وبدأت بعدها أدقق النظر فيه .. هالتني وسامته الشديدة .. إنه يبدو كأحد نجوم السينما اللامعين .. إنه أجمل مني بكثير .. لا أنكر جمالي أبداً .. فقد كنت أجمل صديقاتي .. ولكن هو .. لا .. إنه يفوقني جمالاً ووسامة .. وبدأت أراقبه في غدوه ورواحه .. فأحسست بأنني مخطئة .. إنه لايقصد أحداً ...
إنه يسير في طريقه دون أن يلتفت إلى أحد .. صحيح إنه يسير ورائي .. ولكن يبدو أنه لايقصد ذلك .. فلم تبدر منه إشارة تدل على ذلك .. فإنه حتى لم يحاول أن يكلمني .. ثارت ثائرتي وغضبت منه أشد الغضب .. فقد تيقنت إنه لايتتبعني أنا بالذات ولكنه يسير في طريقه إلى عمله .. يا إلهي .. ومشاعري وقلبي وأحاسيسي الملتهبة .. لا .. لن أدعه يفلت من يدي .. يجب أن ألفت نظره لي بأية طريقة حتى ولو كان هذا على سبيل كرامتي .. واختمرت الفكرة في ذهني .. وبقى التنفيذ .. إن أصعب ما في فكرتي هي طريقة تنفيذها .. وهي أن أسقط ورقة من يدي فيها كلمة واحدة « ما اسمك » .. فكرة غريبة ومجنونة .. ولكنني نفذتها بكل دقة .. فما أن سار بمحاذاتي في أحد الأيام حتى أسقطت ورقتي هذه .. وفوجئت بل صدمت .. أنه لم يلتفت إلى الورقة .. بل إنه داسها بقدمه .. غضبت أشد الغضب .. وقررت أن أنساه .. بل قررت أن أغير طريقي الذي أذهب فيه كل يوم إلى المدرسة .. واخترت طريقاً آخر ... يماثل طريقي الأول ولكنه أكثر طولاً ..
ذهلت .. إنه يسير ورائي في طريقي الثاني أيضاً .. تحول فرحي هذه المرة إلى خوف .. ترى ماذا يقصد ولماذا لايكلمني طوال هذه المدة .. هل هو مجنون .. أم معتوه .. أم يقصد شيئاً آخر ؟ ..

عدت إلى طريقي الأول .. وعاد هو يسير ورائي .. إنني متأكدة هذه المرة بأنه يسير ورائي أنا بالذات ..

تخرجـت من الثانوية ودخلت الجامعة ولم أعد أراه بتاتاً .. حتى فوجئت ذات يوم بأمي تخبرني بأن هناك شاباً طلب يدي للزواج .. لم أفاجأ بطلب هذا الشخص الزواج مني .. فلم يكن هو أول شخص يتقدم لخطبتي .. ولكن فاجأني وقت الخطوبة .. فقد جاء في السابعة صباحاً وقت ذهابي إلى جامعتي .. ضحك أبي بشدة .. وضحكنا معه أنا وأمي .. وتمتم أبي بدهشة .. «يا له من إنسان غريب .. ولكنه شاب ممتاز يا ابنتي .. متعلم .. مهندس في شركة مرموقة .. إنه لا يعوض أبداً .. وسأسأل عنه احتياطاً»..

لم أتصور أبداً أن يكون هو نفسه من يتقدم لخطبتي .. هو نفسه الذي كان يلاحقني في كل مكان .. حتى في أحلامي .. فقد سأل عنه أبي في كل مكان .. وتأكد من إنه شاب ممتاز من كافة الوجوه .. رغم إنه غريب الأطوار بعض الشيء .. دخلت عليه ليراني وأراه كما طلب .. فصدمت .. وشلتني الصدمة فلم أتحرك من مكاني .. حتى أفقت لنفسي فأسرعت هاربة وأنا أردد بيني وبين نفسي .. غير معقول .. غير معقول .. لم يمنعني هذا من الموافقة على الزواج منه .. فقد كان بي شوق شديد لاكتشاف سره ..

تزوجنا بعد شهر واحد من خطوبتنا فقد كان متعجلاً .. وسكنّا في شقة لوالدي في عمارته الكبيرة ..

سألته في ليلة الزفاف وكلماتي تتعثر في فمي :

– لماذا كنت تطاردني بصمت طوال هذه الأشهر التي مرت ..

ضحك طويلاً حتى دمعت عيناه من شدة الضحك .. ثم أجاب بصوت غريب :

– لا أذكر إنني أعجبت بك في البداية .. وبعد ذلك تحول إعجابي إلى نوع من التحدي .. كنت أتحدى نفسي .. أكون أو لا أكون .. أردتك أنت التي تطاردينني .. ولما يئست تزوجتك ..

أذهلني منطقه والطريقة التي يتحدث بها .. أحسست بأنني بعيدة عنه .. بعيدة .. بعيدة جداً رغم قربي .. أحسست بأنني لا أعرفه إطلاقاً .. إنه فعلاً غريب الأطوار ..

وأحببته .. أحببته رغم غرابة تصرفاته .. أحببت فيه كل شيء حتى غروره ..

وعشت معه حالة التأرجح فلا أنا متأكدة من حبه لي .. ولا أنا واثقة من أنه يتحداني .. تارة يسمعني أرق عبارات الحب وأجملها وتارة يسخر مني ويستهزئ بي وكأنني لا أساوي شيئاً لديه .. حتى حملت .. أذهلني تغيره الشديد ....

وكأنه لم يعد هو .. أصبح إنساناً آخر .. يغيب عن البيت طوال النهار .. ثم يعود آخر الليل يصرخ ويسب ويشتم .. أخذت ألوم نفسي بشدة وأتهمتها بأنها هي السبب في تغيره .. فربما أكون قد أهملته مع بداية الحمل .. راجعت نفسي كثيرا .. وبدأت أهتم به أكثر من الأول .. بل أكثر من اهتمامي به أيام زواجنا الأولى .. كنت أستقبله بحب وحنان رغم صراخه المستمر وسخريته مني واستهزائه بي ..

حتى كان يوم .. كنت أنظف له ثوبه .. فوجدت منديلاً في جيبه فألقيت به في عدم اهتمام .. ولكن لفت نظري وانتباهي رائحته القوية .. إنها رائحة لعطر نسائي مشهور .. أخذت أتفحص المنديل وهالني ما رأيت

رأيت صورة لأمرة ملفوفة في المنديل .. اهتزت الدنيا أمام عيني مع اهتزاز يدي .. أحسست وكأن هناك ألف خنجر تطعن جسدي دون هوادة أو رحمة .. أحسست بالألم والندم .. فبكيت وتساقطت دموعي غزيرة كاسحة لتبلل المنديل المعطر ووجه المرأة الزائف .. وصرخات عالية تلهبني كالسياط .. لماذا الخيانة لماذا .. ماذا ينقصه ليبحث عنه عند غيري .. لم أواجهه بما عرفته .. ولم أحسسه بتغيري نحوه .. كنت أخاف أن يتمادى في خطئه ويجاهر به أمامي .. يكفيني إحساسه بأنه كاللص الخائن يسرق من وراء ظهري يكفيني ذله وخوفه وهو يبرر لي أسباب غيابه .. إنه مسكين وأنا أرثي له ..

ثم ولدت ابنتي يارا .. وأشرقت أيامي بالسعادة والحبور .. إنها صورة مني بكل ملامحها .. حتى شعرها الأشقر ورثته عني .. عدت أضم ابنتي إلى بيتنا .. وأضم معها البهجة والأمل .. الأمل بأن استطيع إصلاح زوجي وتبرئته من مرضه المزمن .. فيارا هي أملي الوحيد بأن أستطيع استعادته لي .. وبدأت معركتي معه ومعي كل الأسلحة وفي مقدمتها يارا حبيبتي .. نجحت في استعادته قليلاً .. فقد كان يحب ابنته بجنون .. وبدأت أحببه في بيته وأقربه لي أكثر فأكثر .. غروره كان يصدني فقد كان مغروراً بوسامته وبقدرته على

اجتذاب النساء .. ولكني حاولت .. حاولت بكل ما أستطيع من قوة .. رغم أن اليأس بدأ يدب في أوصالي لأنه سرعان ما يعود إلى سيرته الأولى ..
حتى كان يوم .. مرضت يارا فيه مرضاً شديداً .. أصيبت بالجفاف .. إسهال وقيء شديدين .. جزعت فأبوها لا أدري أين هو .. وأهلي كانوا مسافرين إلى مكة للعمرة .. ولا أحد .. لا أعرف أحداً أستطيع أن ألجأ إليه في حالتي هذه .. انتظرته طويلاً .. والإسهال والقيء يشتدان بيارا .. حتى إنني كنت أبكي خوفاً وهلعاً عليها .. فقد اصفر وجهها ونبلت عيناها ..
كحل أخير هاتفت بيت صديق زوجي الحميم .. ولم أجده .. وجدت أخته .. ما أن سألتها عن زوجي حتى ضحكت ساخرة وهي تقول :
- معقول .. أحقاً لا تعرفين .. إنه على وشك الزواج من صديقتي سهيلة ..
أغلقت سماعة الهاتف وأنا أبكي .. ليس هذا فقط .. بل أشد شعري بقوة وأمزق وجهي بأظافري والطفلة تموت أمامي .. وأخيراً وفي خطوة جريئة مني ومحاولة يائسة لإنقاذ يارا .. خرجت إلى الشارع وأنا أحملها .. وقذفت بنفسي في أول سيارة أجرة .. وصرخت في السائق بجرأة غريبة :
- بسرعة .. أقرب مستشفى ..
ولكنها ماتت .. ماتت نور حياتي .. قبل أن يتمكن الأطباء من إنقاذها .. ماتت ومت معها .. فمضيت أدور في المستشفى كالمجنونة وأنا أبكي بصوت عال .. لم أدر إنني قد رقدت في نفس المستشفى .. إلا عندما فتحت عينيّ المتورمتين من كثرة البكاء .. ورأيت سريري الأبيض والممرضات .. وهو .. رأيته .. إنه يبكي .. ولكنني أكرهه .. أمقته .. أحتقره ...
إنه السبب .. هو الذي قتل يارا .. يارا حبيبتي .. لم يعد لي أمل في الحياة معه مرة أخرى .. إن أملي مات بموت حبيبتي يارا .. صرخت فيه بقوة عجيبة :
- طلقني .. الآن طلقني ..
صمت ونظرات الحيرة والعذاب تشتد في عينيه .. صرخت فيه مرة أخرى :
- أرجوك طلقني .. أنا أكرهك .. أكرهك .. ولا أريد أن أراك مرة أخرى ..
وخرجت من المستشفى وأنا مطلقة .. ومحطمة .. ويائسة .. وصورة حبيبتي «يارا» وهي تضحك وتلعب تحتل كل جزء من كياني المعذب .. إنني أراها حتى في المنام ..

تناديني ضاحكة .. ماما .. ماما .. وأغمض عينيّ بشدة .. وكأنني أطرد صورتها من خيالي .. أطردها لأتخلص من عذابي .. ومن لهفتي .. ومن شقائي ..

وتمر الشهور تلو الشهور .. ويجبرني أبي أن أعود لأخذ حاجياتي من البيت .. الذي كان بيتي .. إن أبي يريد أن يبيعه،لذلك أرادني أن آخذ منه ما أريد أن آخذه ..

أتلفت في أنحاء البيت الحزين .. وأنا أراها في كل زاوية من زوايا البيت .. حبيبتي يارا .. من قال بأن الألم تستطيع أن تنسى ضناها .. حبها الوحيد .. لا .. لم أنسها أبداً .. ولن أنساها ..

دخل أبي .. وأمي .. وبقية العائلة .. سألتني أمي بحنان بالغ :

- ماذا ستأخذين ياحبيبتي ..

قلت ودموعي تتحدث :

- سآخذ هذه اللعبة ..

« تمـــــت »

يوم في حياتي

تحولت رؤيتي الساطعة إلى رؤيا ضبابية .. أو كابوس مزعج .. أو حلم مستحيل .. إنني أراهما بعيني الاثنتين .. هو وهي .. تحترق عيناي لألم الصورة المستحيلة .. وترتدي الأشياء ثوب الحداد .. إنني لا أصدق .. لا أصدق ما أراه بعيني !! بل لا أصدق أي شيء على الإطلاق .. الدنيا تتحول إلى شيء بغيض في نظري .. والعالم .. والموجودات .. وهو .. وهي .. لا .. مستحيل ..

أغادر الفندق هرباً من نار تحرقني .. والألم ينشب مخالبه الحادة في كل جزء من جسمي .. وصورتهما لا تغادر خيالي ..

أمام البحر الغادر جلست .. أتأمل الصخور والأمواج ورذاذ المياه يتساقط على وجهي ليشعل ذاكرتي ويحرقني بنارها ..

خلود حبيبتي .. إنها أختي الوحيدة التي طالما انتظرها أبواي بكل الحب والشوق واللهفة .. فقد أصاب أمي عقم مؤقت بعد ولادتي .. فدارت على جميع الأطباء والمستشفيات حتى الأوروبية منها بحثاً وراء أمل لايجيء .. وغاية بعيدة المنال ..

وفي العاشرة من عمري حينما يئست أمي من الحمل والإنجاب وتفرغت لتربيتي .. حملت فجأة .. ذهلت و زارت جميع الأطباء لتتأكد من نتيجة حملها .. وفعلاً أكدوا لها جميعاً إنها حامل في الشهر الثاني .. صعقت من شدة الفرحة وأغمى عليها .. حملتها أنا وأبي إلى المستشفى .. ومشاعر أبي تتفاوت بين الفرحة بمولوده القادم والجزع على حالة أمي الغريبة وكانت المفاجأة .. إن قلبها ضعيف .. لايقوى على استمرار الحمل والاجهاد .. فإما أن تبقى في المستشفى طوال فترة حملها وإما الإجهاض ..

إتفقت أمي مع أبي على أن تبقى هي في المستشفى تحت رعاية الأطباء حتى تضع مولودها .. وأبقى أنا تحت رعاية أبي ..

وهكذا كان .. حتى صحونا يوماً أنا وأبي على زلزال كاد أن يقضي علينا ..

هاتف من المستشفى .. أسرع إنها تلد .. وحالتها خطيرة جداً .. وصلنا أنا وأبي متأخرين فقد ماتت .. ماتت وهي تلد .. لم يستطع قلبها الضعيف أن يتحمل آلام الولادة .. وتركت لنا طفلة .. خلود .. شقيقتي الصغرى .. حملها أبي وهو يبكي وسلمها إلى مربيتي العجوز وقال لها بصوت زاخر بالحزن :

– ربِّها كما ربّيت سلوى .. فالغالية قد رحلت ..

إتشح بيتنا بالسواد بعد رحيل أمي .. فالبيت فارغ بارد لا طعم له بعد رحيلها .. أجرى إلى حجرتها فأجد أبي منزو في ركن من أركان الحجرة يبكي وينتحب .. فأربت على رأسه بحنان وأبكي معه .. وأدور في البيت كله أبحث عن شيء لا أعرفه واشتاق لشيء لا أدري كنهه ..

وتعلقت بخلود أختي الصغرى .. أحببتها بقوة .. أحببتها أكثر من أي شيء آخر في الوجود .. كنت أعطف عليها .. فلا أم لها .. على الأقل أنا رأيت أمي وعشت معها ولكن هي لا .. فاتخذت مشاعري لها نوعاً آخر من الحب .. نوعاً أشبه بالتملك والحب الجنوني .. فكنت أعتبرها كأنها إبنتي وأنا أمها .. وكانت أحاسيسي وقتها مضمخة بمشاعر الأمومة الغزيرة .. والحب الأموي النادر الوجود ..

أما أبي فأصبح على الهامش بعد موت أمي .. فكان يرانا بعين لا تبصر .. وأذن لا تسمع .. ومشاعر متبلدة خامدة .. وكأنه مات هو الآخر بعد موت أمي ..

وفي الثامنة عشرة من عمري تقدم شاب لخطبتي .. أحببته من النظرة الأولى .. وفرحت به .. ربما لأول مرة أفرح بعد موت أمي فقد كان هو الأمل الجميل في حياتي .. فرحت بأنني سأغادر هذا البيت الكئيب الصامت لدنيا حالمة سعيدة كما كنت أتصورها ..

وبعد أربعة أشهر من الخطبة تزوجنا .. فأحسست بالسعادة الكبرى تزورني بعد طول غياب .. فقد أحببت «سعد» زوجي .. أحببته بقوة وعنف نسيت معها أختي خلود .. لا .. لم أنسها أبداً .. ولكن حب زوجي لي أعطاني قوة دافقة من الحب والعطاء أغمرها على كل شيء من حولي وليس على خلود فقط ..

أحسست بجنين يتحرك في أحشائي .. زغردت الدنيا من حولي فرحاً رغم خوفي .. فقد كنت أخاف أن أموت وأنا ألد كما ماتت أمي وهي تلد شقيقتي

خلود .. ولكن بوجود زوجي إلى جانبي تلاشى أي إحساس لي بالخوف وأنجبت إبنتي الأولى خلود .. أسميتها «خلود» تيمناً بإسم أختي التي أحبها كإبنتي .. ثم جاء طفلي الثاني خالد ليحصد كل خوف لي من الإنجاب .. فأنا لم أمت حتى الآن .. وأنجبت بعده طفلتي الأخرى عهود واستقريت في حياتي وأنا أرى حولي أطفالي الثلاثة يتقافزون في سعادة ومرح ..

كان ما يقلقني هي خلود أختي .. إنها شغلي الشاغل فهي ترفض الزواج بإصرار .. رغم إن الكثيرين تقدموا لها منذ بلغت الرابعة عشرة من عمرها .. فهي جميلة .. أجمل مني بكثير .. وتملك حيوية دفاقة نابضة بالحياة سبحان الله .. وكأن حياة أمي الباقية أضيفت إلى حياتها .. وكنت أحبها وكأنها جزء مني وهي تحبني وتحب زوجي .. لا .. لست متأكدة ..

كانت دائماً تكره زوجي وتنعته بأقبح النعوت .. ولكنني كنت أحاول كثيراً بأن أقرب وجهات النظر بينهما .. وهما فعلاً يلتقيان في كل شيء .. فهي تحب القراءة مثله .. وتحب البرامج الرياضية وتحب البحر وتكره الأطفال

كنت أقول لزوجي دائماً إنك مثل خلود .. يا الله إن أفكاركما أيضاً واحدة وكأنني أسمع خلود هي التي تتكلم أمامي وليس «سعد» .. وكنت أقول لها نفس الكلام بل وأكثر .. لدرجة إنني قلت لها يوماً بحسن نية :

– أتصدقين يا خلود .. إنك وسعد تليقان لبعضكما بدرجة كبيرة ..

واستطردت ضاحكة :

– لولا فارق السن بينكما ولولا إنه زوجي لزوجتك له ..

يالي من غبية .. وقتها لم ألاحظ إحمرار وجهها .. ولم يلفتني اضطرابها .. ولم أنتبه لشحوبها .. ولم أفكر أبداً لماذا أشاحت بوجهها عني لحظتها ..

ومات أبي .. صدمت بموته صدمة هزت كل كياني .. فلم أتوقع موته كهذا .. بسرعة وبدون مقدمات .. وبدون حتى مرض .. بكيت .. بكيت حتى انتهت دموعي .. وطلبت من خلود أن تأتي لتقيم معي .. مع أولادي .. فليس لها أحد غيري ..

ومع الأيام بدأت ألاحظ تغيرات تطرأ على زوجي .. لا لم ألحظها ولكنني أحسستها كما تحس أي زوجة بتغير زوجها .. أصبح بارداً كالثلج .. بعيداً عني بعد السماء عن الأرض .. أراه دائماً مهموماً .. مشغول البال شارد

اللب .. حزيناً ..
سألته بقلق :
- سعد .. مابك .. إن أحوالك لا تعجبني هذه الأيام ..
أحسست بعينيه تهربان من عيني وهو يجيب :
- لا .. أنت واهمة .. لم يحدث لي شيء ..
إجابته صارمة .. باهتة .. باردة .. قتلت أي حماس لي في مناقشته .. سؤالي لم يؤثر عليه أبداً .. وكأنني أضفت قطعة ثلج أخرى إلى كأسي المترع بالمياه الباردة .. فقط لاغير ..
شغلني تغير زوجي .. فلم ألاحظ ما حدث لأختي من تغير أيضاً .. فقد أصبحت تبتعد عني وكأنها تخاف من شيء .. فإذا دخلت إليها حجرتها هربت إلى الصالة .. وإذا جلست إلى جانبها في الصالة جرت نحو المطبخ .. فإذا وقفت معها في المطبخ أسرعت لتلعب مع الأطفال ..
حتى تقدم لها عريس .. شاب ممتاز فيه كل الصفات التي تتمناها أي فتاة في فارس أحلامها .. طبيب ناجح يشع الذكاء والطموح من عينيه السوداوين .. وسيم .. غني .. من أسرة عريقة معروفة ..
ولكنها رفضته .. وطلبت مني ألا أتحدث إليها في هذا الموضوع مرة أخرى ..
جن جنوني .. صرخت في وجهها بقوة :
- إلى متى ترفضين الزواج ؟ حتى تصبحي عانساً .. أفيقي يا خلود .. إنك لست صغيرة .. وكثيرات في سنك متزوجات ولديهن أطفال ..
بكت خلود بمرارة .. ولدهشتي الشديدة وقف زوجي إلى جوارها .. يشجعها ويؤازرها في موقفها .. ويعنفني لأنني كنت قاسية معها .. كلمته بهدوء :
- ولكن ياسعد هل نتركها هكذا بلا زواج .. وندمر مستقبلها ..
رد علي بهدوء شديد :
- لم أقل هذا .. ولكن دعيها تختار بنفسها حياتها .. لاتجعليها تحس بأنها ضيفة ثقيلة علينا ..
رضخت لمنطقه العجيب .. وسكت على مضض وأنا أفكر بحيرة .. لماذا هو يشجعها على موقفها هذا .. لماذا هو معها دائماً .. وضدي أنا .. زوجته .. حبيبته ..

وفي العطلة الصيفية سافرنا إلى البلدة الساحلية .. ونزلنا في فندق مطل على البحر .. ولأول مرة بدأت أفكر فيه .. زوجي .. وأفكر فيها .. خلود أختي .. وأراهما بعين جديدة .. إنه يضحك معها بفرحة طفولية .. وكأنه ارتد معها سنوات كثيرة إلى الوراء .. وهي تنطلق معه في حديث صاخب ممتع لا ينتهي أبداً .. أنظر إليهما والشك يطحنني بقسوته والغيرة تغتالني حتى أعمق أعماقي .. وأغمض عيني بشدة لأطرد أوهامي الغريبة وشكوكي الدامية .. حتى هذه اللحظة .. حتى تأكد لي كل شيء .. منذ قليل ..

رأيتهما بعيني قبل أن أشم رائحة الخيانة من أعطافها .. كنت عائدة من السوق القريب من الفندق ومعي ابنتي خلود وإبني خالد اللذان تركتهما في الحديقة يلعبان .. أسرعت إلى حجرتنا في الفندق لأطمئن على ابنتي الصغرى عهود .. وما أن فتحت الباب حتى رأيتهما معاً .. نعم أختي وزوجي في حجرتي .. منحنيان معاً فوق السرير وكأنهما يبحثان عن شيء ..

حقيقة لقد كان منظرهما غريباً .. ولكن .. ما الذي جمعهما في حجرتي على هذه الصورة ؟ لقد كان زوجي خارجاً حينما ذهبت للسوق .. طلبتها لتذهب معي .. خلود أختي .. ولكنها تعللت بالمرض .. فقلت لها ضاحكة :

- فرصة .. لأترك عندك ابنتي عهود ..

ولكن بعد هذا الموقف القاسي .. المؤلم .. رأيته يتقدم نحوي .. زوجي وحبيبي .. وأنا أمام البحر الصّاخب كأعماقي .. دموعي لم تجف بعد .. وقلبي لا يزال ينئن بألم الموقف الرهيب .. وصورتهما لاتزال ماثلة أمام خيالي البائس .. أفقت على صوته :

– سلوى .. هل عرفت ؟ لقد سقطت عهود من فوق السرير وأصيب رأسها بجرح بسيط .. لا تخافي يا حبيبتي .. لقد ضمدناه أنا وخلود ..
أسقط في يدي ولم أدر بماذا أجيبه .. أأخبره بسوء نيتي وشكوكي التي لا أساس لها من الصحة إنها صفحة سوداء من حياتي .. أحاول أن أنساها .. فقد تزوجت أختي خلود من حبيبها الذي انتظرته طويلاً حتى تقدم لخطبتها .. شقيق زوجي .. عادل .. فقد كانت تحبه ويحبها دون أن ندري جميعاً .. والآن أحاول أن أكفّر عن خطأي في حقها وحق زوجي .. أحاول وقد أستطيع .. وسامحني يارب ..

« تمـــــت »

سخرية الأقــدار

كانت قبيحة .. وكانت تعرف إنها قبيحة وتدرك ذلك جيدا .. لقد سمعت مرارا وتكرارا والدتها وهي تندب حظها العاثر وتبكي بيأس وهي تقول :

- لماذا يا ربي خلقت إبنتي دميمة بهذا الشكل .. لماذا هي دونا عن جميع أخواتها وإخوانها ..

كان هذا الكلام يحز في نفسها كثيرا .. وكانت تخاف المرآة .. إنها عدوها اللدود .. لم تحاول يوما أن تتطلع إلى صورتها في المرآة .. وبالصدفة عندما تمر أمام المرآة كانت تشيح بوجهها سريعا وكأنها خائفة .. خائفة أن تراه .. هذا الوجه القبيح ..

وفي مدرستها الثانوية كانت ترى زميلاتها كل صباح وهن يقفن أمام المرايات الكبيرة في دورات المياه .. كانت تراهن وتتحسر .. وكانت تخجل أن تقف معهن أمام المرآة .. فكانت تدخل الحمام سريعا وتخرج بسرعة أكثر وكأن هناك من يلاحقها .. كانت عقدتها المرآة .. فكرهتها .. كرهتها أكثر من أي شيء آخر في الوجود .. وحمدت الله كثيرا على قرار الإدارة بأن تزال جميع المرايات من دورات المياه في المدارس وفرحت أكثر .. أبدا لم تكن غيرة .. لم تكن تغار من زميلاتها الأخريات اللاتي يقضين جزءا كبيرا من وقتهن أمام المرآة .. فهي لم تكن تغار .. رغم قبحها لم تكن تغار .. فقد كانت تعرف جيدا بأنها متفوقة عليهن في الدراسة .. فقد أفهمتها أمها جيدا بأن الجمال شيء زائل والتفوق والدراسة هما مستقبل الفتاة ..

كانت والدتها تخاف عليها من المستقبل .. تخاف ألا يتقدم أحد لخطبتها لذلك حاولت أن تحصنها بالدراسة والتفوق فربما أغناها مستقبلها يوما من أن يكون لها بيت وزوج .. أن دراستها هي السلاح الوحيد في يدها ويجب أن تستخدمه جيدا .. ويبدو إنها كانت تعي ذلك .. لذلك كانت دائمة التفوق منذ صغرها وحتى وصلت للمرحلة الثانوية .. دائما الأولى .. لم تحاول يوما أن تتراجع عن مركزها هذا وكانت محبوبة من جميع المدرسات والطالبات ..

وفي يوم ارتفع رنين جهاز الهاتف .. كانت مها تذاكر دروسها ولم يكن هناك أحدٌ في البيت غيرها .. فذهبت لترد على الهاتف .. سألها المتكلم عن أخيها سعد فأخبرته بأنه خرج ولكن الشاب أعجب بصوتها الجميل فحاول إطالة الحديث معها .. ولكنها أنهت المكالمة بسرعة .. فاتصل مرة أخرى وقال لها بأنه أحبها من صوتها و .. و .. وانساقت وراء كلماته الجميلة .. إنها أول مرة في حياتها تسمع فيها هذا الكلام .. كان كلامه كالسحر الذي هبط عليها فحولها إلى إنسانة أخرى .. أخرى تماماً .. كبقية الفتيات .. ليس ذنبها إن وجهها ليس جميلاً .. يكفيها أن لها قلباً يحس ويشعر .. وينبض بأجمل الإحساسات ..
ولأول مرة في حياتها تركت دروسها وذهبت تتطلع لصورتها في المرآة .. وأخذت تنقب في صورتها بحثاً عن مواطن جمال خفية في وجهها .. ولكنها لم تجد شيئاً .. وعرفت وقتها إن الجمال ينبعث من الداخل من قلبها .. من مشاعرها .. من سعادتها .. لا من الشكل الخارجي فقط ..
وتتابعت مكالماتها الهاتفية مع فيصل .. وأحبته .. أحبته بكل ما في هذه الكلمة من معنى .. لا .. إنه ليس حباً .. إنه خيال .. أحبت فيه كلماته الجميلة واهتمامه بها .. وصوته الرائق الجميل .. وإعجابه الشديد بصوتها .. فقط ..
إنها لازالت لا تعرف ما هو الحب الحقيقي .. وكيف يكون ؟
وأهملت مها دراستها وانساقت وراء عاطفتها العمياء .. لاحظت والدتها شرودها .. وتكاسلها في المدرسة ..
وفزعها عند رنين الهاتف .. فأحست إن في الأمر شيئاً .. فبدأت تراقبها عن بعد وعرفت .. عرفت كل شيء ورغم دهشتها الشديدة إلا أنها تظاهرت بالهدوء وهي تسأل مها :
- من هو الشاب الذي تحادثينه عبر الهاتف ؟ :
صعقت مها ولم ترد .. أكملت والدتها الكلام :
- إذا كان يحبك حقيقة فليتقدم لخطبتك ..
فرحت مها لوهلة ولكنها تذكرت .. تذكرت دمامتها التي ليس لها ذنب فيها .. فتلألأت الدموع في عينيها وهي تنظر إلى والدتها بقلق ..
وفي اليوم التالي طلبت فيصل على الهاتف ووالدتها إلى جوارها .. وبكلمات بسيطة منها طلبت منه أن يتقدم لخطبتها .. فوجيء .. ثم ضحك بعصبية

وطلب أن يراها أولاً .. نظرت إلى والدتها متساءلة ....
فتناولت والدتها سماعة الهاتف وقالت بهدوء :
- فيصل .. يسرني أن تشرفنا غداً أنت ووالدك لخطبة مها ولتراها أيضاً ..
صعق من شدة المفاجأة .. فتلجلج بكلمات مبهمة ثم قفل الخط .. بكت مها على صدر أمها وهي تعرف جيداً بأنه لن يتصل مرة أخرى .. فهمت أخيراً بأنه كان يتلاعب بعواطفها وإنه أبداً لا يقصد الزواج .. فعندما يريد أن يتزوج فسيبحث عن فتاة بعيني أمه وعقل أبيه ..
وكانت أول صدمة في حياتها تعلمت منها الكثير وعرفت أن حب الهاتف ما هو إلا خيالات صبيانية تافهة وإنه لايقاس بشيء إلى جانب الحب الحقيقي .. وبكت .. بكت كثيراً وهي تطوي هذه الصفحة من حياتها ..
حتى سعد أخوها .. فقد فوجيء هو الآخر بهذا الجفاء من صديقه فيصل .. جفاء لا يعرف له سبباً مما أدى إلى حدوث فجوة كبرى بينهما كانت هي السبب فيها ..
وتمر الأيام وتنسى هذه الحادثة وتحصل على شهادة الثانوية بتفوق كالعادة .. وتدخل الجامعة وتتخرج منها بعد أربع سنوات بتفوق كبير مع مرتبة الشرف ، ولا تلبث سعادتها أن تتلاشى حين تفاجأ بزواج جميع أخواتها .. حتى من تصغرها بعامين .. قد تحدد زواجها بعد ثلاثة أشهر ..
وفي ليلة زواج أختها بكت كثيراً وسهرت حتى الصباح .. ليس بسبب زواج أختها التي تصغرها .. بل لأنها رأت زوجة فيصل تلك الليلة .. فيصل .. من أحبته يوماً .. إنها لا تبكي حبه .. بل إنها حتى لا تشعر به .. ولكن صدمتها كانت في اختياره لزوجته .. إنها تعرفها فقد كانت زميلتها في الثانوية .. لاتنكر جمالها فقد كانت باهرة الجمال ولكن هل يعرف هو بإنها كانت فتاة سيئة السمعة .. بل إنها أقذر فتاة عرفتها المدرسة .. بالتأكيد هو لايعرف وهذا هو المهم لديه .. أن يتزوج من فتاة لايعلم ماضيها ..
وفي الصباح فوجئت بأمها تدخل عليها فرحة مستبشرة فقد تقدم رجل لخطبتها .. صدمت فلم تفرح ولم تحزن الآن فقط وبعد تلك السنوات يتقدم لها شخص .. لايهم .. المهم إنه أتى .. أخبرتها أمها بأنه قد سبق له الزواج وأن لديه طفلين .. صرخت مها :

- لا .. يا أمي .. لاأستطيع .. أن أبقى بلا زواج أفضل .. أسكتتها أمها بنظرة وهي تقول :

- وهل ذنبه إنه فشل في حياته .. لا يا مها .. لا تكوني قاسية .. ثم أنت تعرفين جيداً أنه لم يتقدم أحد لخطبتك .. وأنت تعرفين كلام الناس ..

ورضخت مها تحت إلحاح والدتها .. وخطبت له .. وتزوجته في خلال شهرين فقط ..

إنه لم يرها إلا ليلة الزفاف .. لذلك صُدم بها صدمة شديدة .. وطالت صدمته فلم يقربها إلا بعد أسبوع كامل .. وأحست بذلك .. أحست بأنه لم يحبها .. فعز عليها ذلك ولكنها أصرت على أن تحببه فيها بطرق أخرى فليس الجمال هو كل شيء .. فضاعفت من اهتمامها به .. وتفننت في أساليب الطهي وإعداد الأطباق ..

وعملت على راحته بكل وسائل الراحة والرفاهية .. ولبست له أجمل الثياب وأغلاها ..

ولكن .. أبداً .. إنه يزداد منها نفوراً وابتعاداً .. إنه لايطيق حتى أن يرى وجهها .. وفي نهاية الشهر الأول فوجئت مها بأطفاله يدخلون عليها .. إنهم خمسة وليسوا اثنين كما قال .. ياله من إنسان مخادع كاذب .. صدمت ولكنها صمتت ولم تقل شيئاً ومضت تخدمهم كما كانت تخدم والدهم .. وبدأت فعلاً تشعر بأنها خادمة .. فالأولاد ليسوا أولادها ولا الزوج زوجها أيضاً .. فهو حتى لم يقل لها كلمة حلوة يوماً ..

« إنه إنسان لايطاق » ..

همست لأمها وتابعت .. « وأولاده كذلك إنهم أشبه بالمجانين فهم بشتى الطرق يحاولون أن يغيظوني» ..

طالبتها أمها أن تصبر .. إنهم لازالوا أطفالاً كما إنها أقنعتها بأن تنجب منه فالزوجان لا يربطهما سوى الأطفال .. صرخت مها « ولكن يا أمي أنت لا تعرفين .. خمسه أطفال لم يكفوه ليربطوه بزوجته .. وهاهو الآن متزوج مني » ..

وردت أمها بصوت حاد :

- بل أنت التي لا تعرفين الحياة .. فربما كانت زوجته طويلة اللسان .. غليظة القلب .. أو ربما كانت ..

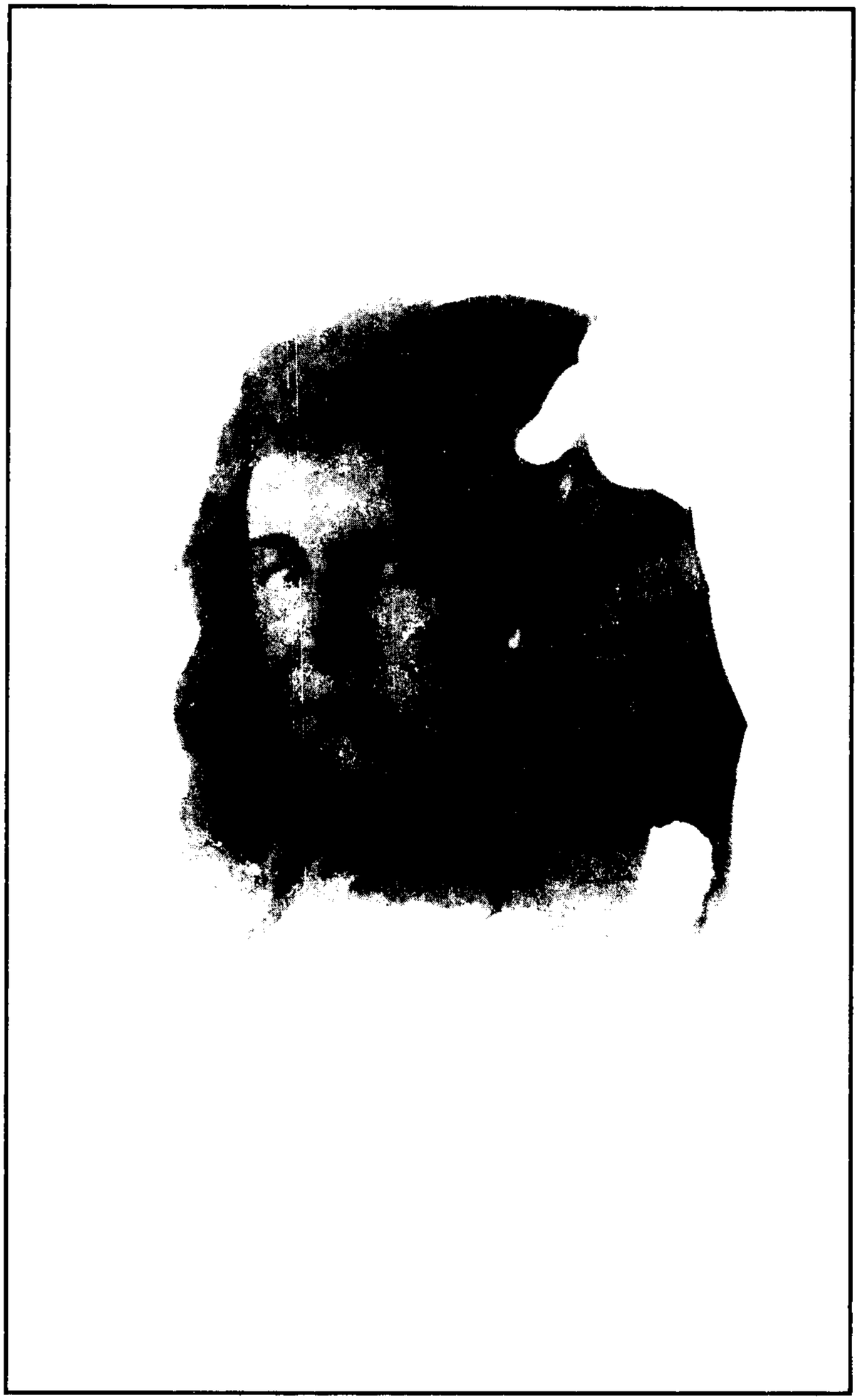

وسكتت أمها ولم تكمل جملتها .. وفهمت مها معنى سكوتها وقالت في نفسها ..
« حتى لو كانت قبيحة فلن تكون أقبح مني » ..
وفي نفس اليوم فوجئت بزوجته السابقة أمامها .. لا .. إنها ليست سابقة إنه لم يطلقها أصلاً .. فقد كان يكذب عليها .. بهرت بجمالها الشديد .. لا .. إنها ليست جميلة فقط .. بل إنها ملكة جمال ..
الآن فقط فهمت لماذا هو ينفر منها بهذا الشكل القوي .. إنها ليست شيئاً إلى جانب زوجته الأولى ....
وفهمت وقتها أيضاً بأنه لن يطلقها إلا إذا أعطته مهره الذي دفعه لها ..
ومضت تجمع ثيابها في حقيبتها وهي تبكي .. لا .. إنها لاتبكي حبه أبداً .. فإنها لم تحبه يوماً .. إنه حتى لم يدع لها الفرصة لتحبه .. إنها تبكي لأنها ظلمت .. ظلمت بقسوة شديدة ولا ذنب لها في شيء مما يحدث لها .. فإذا كان هو يحب زوجته كل هذا الحب وكانت هي جميلة كل هذا الجمال فلماذا يتزوج بأخرى .. إنه غباء الرجال ..
وقف أمامها وقال لها بهدوء :
– لماذا تجمعين ثيابك .. إنني لا ..
قاطعته بحدة :
– لا تخف .. سأعيد لك نقودك .. من فضلك دعني أذهب .. وأرجو أن تصلني ورقة الطلاق بعد أن تأخذ مهرك ..
نظرت إليهم وهي خارجة وتعجبت كثيراً .. هو سعيد بزوجته .. وهي سعيدة به .. والأطفال سعداء بوالديهم .. يا الله .. كيف دخلت عالمهم هذا ؟ كيف كانت ستفسد عليهم سعادتهم ؟
وحمدت الله كثيراً بأنها لم تحمل منه .. وإلا لكانت عاشت على أنقاض سعادتهم .. طفرت دمعة من عينيها وأخوها سعد يستقبلها في سيارته عند الباب .. ركبت بجواره وهي صامتة .. وهو صامت .. أخيراً تكلم سعد :
– صديقي فيصل .. هل تذكرينه ..
بهتت وهي ترد بصوت خافت ..
– نعم .. أعتقد .. أجل ..
رد عليها بصوت قوي ..

– لقد طلق زوجته .. وقد طلبك مني .. هل توافقين ؟

نظرت إلى الطريق وهي تبتسم بسخرية .. وتقول في نفسها .. سبحان الله ..

« تمـــــت »

أنــا .. وهـــو

دخلت عليه الحجرة كما طلبوا مني ولكنني ما أن رأيته حتى صرخت فزعة .. تراجعت خطوات إلى الوراء ..
لفتت صرختي انتباهه فنظر إلى نظرات شاردة .. هائمة .. وكأنه لايعرفني .. لاينكرني بتاتاً .. تهيأت لأخرج من الحجرة .. فيكفيني ما رأيته .. ولكن .. ما أن وضعت يدي على مقبض الباب حتى سمعت بكاءه ونحيبه .. استدرت إليه مرة أخرى وأنا أنظر إليه بدهشة .. وذهول .. الرجل العظيم يبكي ...
الرجل القوي المعتز دائماً بقوته يبكي .. إنه هو الذي حطمني وذبحني من الوريد إلى الوريد ..
دموعه أعادتني أعواماً إلى الوراء .. وذكرتني بأشياء كنت أحاول أن أتناساها ..
دموعه أعادتني إلى شبابي الجريح وماضيّ الكئيب .. لا .. لا .. إرحموني .. لا أريد أن أتذكر شيئاً .. ولكن تقذفني الذاكرة بقسوة إلى أيامي الأولى .. توفيت أمي وأنا في الثانية من عمري لا أعي شيئاً من الدنيا .. ولكن تفتحت عيناي على زوجة أبي وأنا أناديها بماما .. أكذب لو قلت بأنها كانت قاسية على .. أبداً والحق يقال كانت بالنسبة لي أفضل من أم .. كانت تحنو علي كابنتها .. وتخاف علي كنفسها .. إنها أبداً لم تكن أنانية .. ولكن شعوري بأنه ليست لي أم كان يعذبني .. شعوري بأنني مختلفة عن أخوتي كان يحطمني كنت أبكي كل ليلة وأناجي ربي بيأس لماذا يارب أخذت أمي .. لماذا لم تبقها لي .. لماذا لم تأخذ أبي ..
وكنت أستغفر سريعاً وأندم على هذا كثيراً .. وأتخيل .. ترى لو كان أبي هو الذي مات وليست أمي.. ماذا كان سيحدث لي وقتها .. ترى هل كانت أمي ستتزوج أيضاً ؟
في وسط هذه التساؤلات الغريبة كنت أنام .. أنام وأنا أحتضن صورة أمي الحقيقية وعلى خدي تبرق دمعة كبيرة .. لتأتي أمي الأخرى في الليل وتسحب

مني الصورة بهدوء .. وتمسح دمعتي وتقبلني .. ثم تذهب لتنام ..
لقد كانت رائعة .. لا أنكر هذا .. وكانت تعتبرني كأولادها تماماً .. لا فرق بيننا في شيء .. بل أفضل من أولادها .. فإنني أنكر تماماً بأنها كانت تشتري لي الملابس دوناً عن أختي الصغرى التي كانت تلبس ملابسي بعد أن تضيق علي .. ولازلت حتى الآن أنكر صراخها واحتجاجها على ذلك .. وكنت أخبر زوجة أبي بكل أسراري أولاً بأول .. فقد عودتني على ذلك منذ صغري .. فكنت أحبها كأبي .. ولكنني أضيق بها في حالة واحدة عندما أسمعها تقول لإحدى الجارات أو الزائرات بأن هذه ليست ابنتي .. إنها إبنة زوجي .. عندها فقط أشعر بأنها ليست أمي .. ولن تكون أبداً أمي .. أعرف بأن من حقها هذا وبأنها صغيرة على أن تكون في سن أمي .. ولا أنكر عليها هذا الحق .. ولكن إحساسي بأن كل الناس تعرف بأنها ليست أمي يرهقني ويعذبني .. بل يدمر إحساسي بأنني إبنة لها ..
وكبرت وأصبحت فتاة جميلة ـ بل أجمل فتاة في الأسرة .. وجميع شباب العائلة وغير العائلة يتهافتون على خطبتي ولكنني كنت أرفض .. أرفض بقسوة ولا أقبل حتى نقاشاً في هذا الموضوع ..
كنت أرفض لا لعيب في العريس .. بل كنت أرفض هرباً من الزواج نفسه .. لا أريد أن أتزوج أبداً .. حتى لو بقيت طوال عمري بدون زواج .. فقد كنت خائفة من الزواج .. تولدت عندي عقدة بأنني لو تزوجت وأنجبت فسوف أموت كأمي وأترك طفلي يتعذب من بعدي لذلك كنت لا أفكر مجرد تفكير بأن ارتبط بأي إنسان .. لا أريد أن أعذبه كما تعذب أبي ولا يزال يتعذب حتى الآن .. فإنني أشعر دائماً بأنه يراني صورة من أمي .. صورة تعذبه وتؤرقه وتذكره بما مضى وفات .. إنني أشعر بأنه يحب أمي كثيراً ولن ينساها أبداً .. إنه يحبها أكثر مما يحب زوجته الأخرى بكثير .. بكثير جداً .. رأيته مرة ينظر إلى طويلاً .. ويطيل النظر .. سألته برقة :
- لماذا تنظر إلي هكذا يا أبي ؟
تكلم بأسى والدموع تتلألأ في عينيه :
- أبداً .. إنني معجب بجمالك .. إنك صورة منها ..
ولم أسأله صورة من من ؟ لقد فهمت .. فهمت دون أن يتكلم .. وترجمت

دموعه الحزينة .. حبه الشديد لأمي حتى بعد أن تزوج بأخرى ..
في ذلك اليوم بكيت .. بكيت كثيراً .. وفي وسط دموعي الكثيرة جاءتني زوجة أبي لتخبرني بأن هناك خاطباً جديداً جاء ليخطبني .. وأسهبت في وصف هذا الخطيب الجديد وأنا لا أسمع لها .. ولا أفقه حرفاً مما تقول
كنت في عالم آخر .. أتصور حياة أبي عند زواجه من أمي وكيف كان سعيداً معها ..
تنبهت فجأة على صوتها وهي تقول :
- إنه عريس ممتاز .. لن تجدي مثله أبداً .. ولكنني صرخت في وجهها بقوة لم أعهدها في نفسي :
- عريس ممتاز .. إذن زوجيه لابنتك .. لماذا أنا فقط التي تريدون تزويجها .. لماذا لا تزوجين ابنتك أيضاً .. إنها تصغرني بخمس سنوات فقط .. إنها في الثامنة عشر ..
بهتت زوجة أبي .. لم تتوقع مني أن أثور هكذا .. وأن أهاجمها بهذا الشكل المؤلم ..
لم تنطق .. اكتفت بأن نظرت لي نظرات عاتبة حزينة .. وخرجت من الحجرة ..
وقتها أحسست بأنني مجرمة .. فهي لم تفعل لي أبداً طوال حياتها معي أي شيء يستحق أن أثور عليها بهذه الطريقة الهوجاء ..
ندمت وأسرعت ركضاً أعتذر لها فاستقبلتني بين أحضانها وكأن شيئاً لم يكن ..
لم يكن هذا هو الموقف الوحيد الذي ثرت فيه عليها .. بل عشرات المواقف المشابهة .. فقد كنت أرفض الزواج وأكره أن تحادثني هي في هذا الموضوع بالذات .. فإنني أشعر وكأنها تحاول أن تتخلص مني وإن لم تقصد هي ذلك ..
أبي لم يحاول أن يجبرني على شيء .. تركني أحدد مستقبلي كما أريد أن أكون .. لم يشأ أن يتدخل في حياتي فيفسدها كما كان يقول لي دائماً ..
وتمر الأعوام .. وتدور السنين .. وأفاجأ بأن اختي الصغرى قد خطبت .. عريسها لم يخطبني أنا أولاً .. كالعادة .. بل خطبها هي مباشرة .. وأراها فرحة .. مستبشرة .. وكأنها ملكت الدنيا ومن عليها ....
وجميع من في البيت يدللها ..

وانا .. الجميلة .. اجمل فتاة في الاسرة كلها لا اجد من ينظر إلي .. مجرد نظرة .. أعترف .. بدأت أغار .. وبدأت أكرهها وأحقد عليها .. ولكن لماذا أكرهها وأحقد عليها وهي لم تخطىء في حقي ..

بدأت أفكر .. وأحسست وقتها بأنني أنا التي أخطأت في حق نفسي .. وبدأت أتراجع عن كل مواقفي

ولكن لا .. ليس إلى درجة أن أتزوج .. فلم أصل في تفكيري إلى هذا الحد أبداً ..

كانت عقدتي لا تزال تقف أمامي كحائل يمنعني بأن أعيش عمري كبقية الفتيات في مثل سني ..

وتزوجت أختى الصغرى .. وأنجبت .. وأنا أتابع سعادتها بغيظ .. لا .. لم أكن حاقدة .. أبداً ...

فهذه أختي وأنا أحبها .. ولكنني كنت أغتاظ لانني أعلم بأنني لن أستطيع أن أصبح مثلها ..

وفي أحد الأيام جاءني أبي « إنه أبي هذه المرة » متجهم الوجه وأخبرني بتردد بأن هناك عريساً يتقدم لي

ذهلت .. يا الله .. لايزال هناك من يذكرني .. لقد نسيت كلمة خاطب هذه منذ فترة طويلة .. وتأقلمت على فكرة بأنني سأظل هكذا من دون زواج .. من ذا الذي يرغب في الزواج من فتاة في الثانية والثلاثين من عمرها .. لابد إنه شخص مجنون ..

سألت عنه أبي من باب الفضول فأخبرني بأنه شاب مهذب يقاربني في العمر .. ويشغل وظيفة مناسبة .. وليس مجنوناً بالتأكيد ..

صرخت بفزع وكأنني أهرب من حلم مفزع :

- لا .. لن أتزوجه يا أبي .. إرحمني .. لن أتزوج ..

ولوهلة ما انفرجت أسارير أبي .. ورأيت الفرحة الشديدة في وجهه .. ذهلت .. هل يعقل هذا .. لايريدني أن أتزوج ولماذا .. ولمصلحة من هذا .. هل هو يحبني لدرجة إنه لايريد لأحد أن يأخذني منه ..

وتيقنت من ذلك عندما قال وعيناه تضحكان من السعادة :

- لا أرى أحداً يستحقك يا أمل .. إنك مثلها ..

ورنت جملته الأخيرة في رأسي كناقوس ينبهني إلى خطأ ما .. تنبهت إلى أنه قال لي مثل هذه الجملة عشرات المرات .. منذ صغري وهو يقولها لي .. منذ نعومة أظافري وهو يؤكد لي إنني مثلها .... وإنني صورة منها وإنني بالتأكيد سأموت مثلها .. إذن هو سبب عقدتي .. لا .. لا .. إنه يحبني .. وأنا أحبه أيضاً ..

وتمر الأيام والأسابيع والشهور .. وجمالي يذبل وشبابي ينطفيء ... ولا أحد .. لا أحد أبداً يتقدم لخطبتي أختي الصغرى الآن سعيدة بزوجها وبأطفالها الأربعة .. وأختي الأخرى أيضاً تزوجت وأنجبت .. فضلاً عن إخواتي الذكور الذين تفرقوا واحداً بعد الآخر .. منهم من تزوج .. ومنهم من سافر للدراسة .. ومنهم من انتقل إلى بلدة أخرى .. وأنا كما أنا .. لاأزال في بيت أبي .. يقتلني الملل .. وتذبحني مرارة الانتظار وتدمرني سعادة إخواتي بأزواجهن ..

وتحول حقدي إليه .. إلى أبي .. فهو الوحيد المسئول عمّا آل إليه حالي .. وهو السبب فيما حدث لي ويحدث .. إنه لم يحاول يوماً أن يقنعني بالزواج ممن تقدموا لخطبتي .. بل على العكس كان يطير فرحاً إذا رفضت .. إنه يريدني أن أبقى معه في البيت إلى أن أموت .. يريدني أن أنكره بأمي .. إنني ضحية .. إنني ضحية أبي ..

وقررت يومها أن أهجره .. أن أعذبه .. أن أشعره بأنني لازلت قادرة على أن أستغنى عنه .. وعن حبه فذهبت إلى بيت أخي الأصغر المتزوج حديثاً .. واعتصمت عنده .. رفضت حتى الخروج ..

لم يهمني أبداً نظرات زوجته المذهولة .. وكلام الناس ..

وجاءتني زوجة أبي بعد يومين تتوسل لي بأن أعود إلى البيت لأن أبي مريض ..

رفضت رفضاً باتاً وقاطعاً .. وطردتها من الحجرة .. ومضيت أنتحب في يأس فلا حاضر لي ولا ماضٍ ولا مستقبل .. وحاول أخي بأن يقنعني بأن أزور أبي .. مجرد زيارة فقط .. ولكني رفضت بكل إصرار .. وبقيت حبيسة الجدران في حجرة منزوية من حجرات المنزل .. أنعي حاضري التعيس ومستقبلي المظلم ..

واليوم اجتمعت العائلة كلها عندي لإقناعي بزيارة أبي .. فإنه يموت ..

يموت .. أحسست بغصة في حلقي وكأن هذه الكلمة وقفت فيه .. حتى دموعي تجمدت في عيني .. وأبت أن تنزل .. وما أن رأيته على هذه الحالة المفزعة .. وسمعت بكاءه ونحيبه حتى أسرعت إليه وقلبي يخفق .. وألقيت بنفسي بين ذراعيه وأنا أبكي .. فامتزجت دموعنا بيأس قاتل وأمل ذبيح ..

وأخذت برأسه بين ذراعي وأنا أتمتم :

- أبي ..

وأسمع حشرجة صوته تأتيني من بعيد :

- سامحيني يا أمل ..

وأرد عليه بصوت جريح ..

ودموعي تتحدث :

- سامحتك .. سامحتك يا أبي ..

« تمـــــت »

الموضـــــوع	رقم الصفحة
إهـــداء	٧
الزوجـة العـذراء	٩
لـــن أعـــود	٤٩
ولازلـت أحبــه	٥٩
ليست كأي أمـرأة	٧١
أبدأ .. لم أكـذب	٨٣
عفـوأ .. إنه خطئي	٩٣
دمـوع الفـرح	١٠٣
أشباح من الماضي	١١٥
لسـت أنـا	١٢٧
نوع أخـر من الحب	١٣٥
أسفـه .. لم أكن أدري	١٤٥
بقايا أمـرأة	١٥٥
دمـوع في عينيها	١٦٥
يوم في حياتي	١٧٥
سخريـة الاقدار	١٨٥
أنـا .. وهــو	٢٠٥
عنـوان المؤلفـه	٢٠٧

صدر للمؤلفة:

١. خطأ في حياتي (مجموعة قصصية).

٢. الزوجة العذراء (مجموعة قصصية).

٣. دموع في ليلة الزفاف (مجموعة قصصية).

٤. عيون على السماء (رواية).

٥. أنثى العنكبوت (رواية).

٦. بكاء تحت المطر (روايتان).

٧. الرجل الحائط (مجموعة قصصية).

٨. عيون قذرة (رواية) .

عنوان المؤلفة

ص.ب: ٩١٣ - مطار الظهران

الرمز البريدي: ٣١٩٣٢ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: komasha@yahoo.com

صدر للمؤلفة

١ - خطأ في حياتي	(مجموعة قصصية)	الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
٢ - الزوجة العذراء	(مجموعة قصصية)	الطبعة السادسة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
٣ - دموع في ليلة الزفاف		الطبعة السادسة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
٤ - عيون على السماء	(راوية)	الطبعة السادسة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
٥ - أنثى العنكبوت	(راوية)	الطبعة السادسة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
٦ - بكاء تحت المطر	(راوية)	الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
٧ - الرجل الحائط	(مجموعة قصصية)	الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
٨ - عيون قذره	(راوية)	الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

عنوان المؤلفة

ص.ب: 913 ــ مطار الظهران

الرمز البريدي: 31932 المملكة العربية السعودية

بريد الكتروني: Komasha @ yahoo. Com.